ديوان
حافظ إبراهيم

ضبطه وصححه وشرحه ورتبه

أحمد أمين　　أحمد الزين　　ابراهيم الإبياري

الجزء الثاني

ويشمل :

السياسيات ، الشكوى ، المراثى ، قصائد لم تنشر فى الطبعة الأولى

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٠

السياسيات

العلمان المصرى والانجليزى فى مدينة الخرطوم

رُوَيْدَكَ حتى يَخْفُقَ العَلَمانِ (١) * وتَنْظُرَ ما يَجْرِى به الفَتَيانِ

فما مِصْرُ كالسُّودانِ لُقْمَةُ جائعٍ (٢) * ولكنَّها مَرْهُونَةٌ لأوانِ

دَعانى وما أَرْجَفْتُما باحتمالِه (٣) * فإنِّى بمَكْرِ القَوْمِ "شِقٌّ" زمانِى

أَرَى مِصْرَ والسُّودانَ والهِنْدَ واحِدًا * بها اللُّرْدُ والفِيكُنْتُ يَسْتَبِقانِ

وأَكْبَرُ ظَنِّى أنَّ يومَ جَلائِهِمْ * ويومَ نُشُورِ الخَلْقِ مُقْتَرِنانِ (٤)

إذا غاضَتِ الأَمْواهُ مِنْ كلِّ مُزْبِدٍ * وخَرَّتْ بُرُوجُ الرَّجْمِ للحَدَثانِ (٥)

---

(١) الفتيان : الليل والنهار . يخاطب صاحبه يقول : تمهل حتى يخفق على السودان العلمان ، ريكمل للإنجليز تملكه ، فإنهم بعد سيملكون مصر كما ملكوا السودان .

(٢) يشير بهذا البيت الى توقع أخذ مصر كما أخذ السودان ، وأن الاستيلاء عليها ليس فى سهولة الاستيلاء عليه ، ولكن ذلك مرهون بالوقت الملائم .

(٣) ما أرجفتما ، أى ما خضتما فيه من القول الذى لم يصح . وباحتماله ، أى باحتمال وقوعه وتحققه ، وهو جلاء الإنجليز عن مصر . ويريد «بالقوم» : الانجليز . وشق (بكسر الشين) : كاهن عربى قديم اشتهر بمعرفة الغيب ، وكان فى زمن كسرى أنوشروان . (٤) يوم النشور : يوم القيامة .

(٥) غاض الماء : قل فنضب . والأمواه : جمع ماء . والمزبد : البحر يقذف بالزبد . والحدثان (بحركة) : اسم بمعنى حوادث الدهر ونوائبه .

وعادَ زمانُ السَّمهريِّ وربِّه * وحُكْمٌ فى الهيجاءِ كلِّ يمانى (١)

هُنالكَ اذكُرا يومَ الجَلاءِ ونَبِّها * نِياماً عليهم يَندُبُ الهَرَمانِ (٢)

إلى مولاى عبد العزيز سلطان مراكش

قالها وقد اقترح المؤيد على الشعراء أن ينظموا فى عتاب مولاى عبد العزيز سلطان مراكش

[نشرت فى ٤ ابريل سنة ١٩٠٤م]

(عبدَ العزيز) لقد ذَكَّرْتَنا أَلَمًا * كانتْ جوارُكَ فى لَهْوٍ وفى طَرَبِ (٣)

ذَكَّرْتَنا يومَ ضاعَتْ أرضُ أندلُسٍ * الحَرْبُ فى البابِ والسُّلطانُ فى اللَّعِبِ

فاحذَرْ على التَّختِ أنْ يَسْرِى الخرابُ له * فتَختُ (سُلطانةٍ) أعدَى من الجَرَبِ (٤)

---

(١) السمهرى : الرمح الصلب ، أو هو المنسوب الى رجل من العرب اسمه سمهر ، كان مشهورا بصنع الرماح . والهيجاء : الحرب . واليمانى : السيف ، نسبة الى اليمن ، لأن أجود السيوف كان يصنع بها .

(٢) هنالك اذكرا : جواب «لإذا» فى البيت السابق . يقول : اذا ظهرت أمارات الساعة من غيض مياه البحار... الخ ، أو وقع المستحيل ، فعاد الزمن الى سيرته الأولى أيام كان القتال بالسيوف والرماح فانتظرا إذ ذاك خروج الإنجليز من مصر .

(٣) عبد العزيز سلطان مراكش ، هو ابن السلطان مولاى الحسن ، وكان مولده سنة ١٢٩٦ هـ . تولى الملك بعد وفاة أبيه فى ٤ ذى الحجة سنة ١٣١١ هـ ، ثم خلع فى سنة ١٣٢٦ هـ وسنة ١٩٠٨ م . وكان مسروفا بالإخلاد الى الهون واللهو ، حتى إنه بعث الى مصر فى طلب جماعة من المغربين والمغربات ، فسافر اليه جماعة منهم ، فأنكر عليه المسلمون فعله ، لاسيما مصر ، وكتبت الصحف مستهجنة هذا الصنيع من سلطان مسلم ، وأكثر الشعراء فى ذلك من المقطعات الطريفة .

(٤) يريد «بالتخت» الأول فى هذا البيت : سرير السلطان ، وهو معرب . وبالثانى : تخت الغناء ، تسمية عامية . وسلطانة : مغنية كانت من المغنيات المشهورات فى مصر فى ذلك العصر ، وكانت بين بعثة الغناء التى سافرت الى سلطان مراكش .

To: www.al-mostafa.com

غادة اليابان

ضمنها مرامه بغادة يابانية ، وأشاد بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان في الحرب بينها وبين روسيا

[نشرت في ٦ ابريل سنة ١٩٠٤ م]

لا تَلُمْ كَفِّي إذا السَّيْفُ نَبَا * صَحَّ مِنِّي العَزْمُ والدَّهْرُ أَبَى (١)

رُبَّ ساعٍ مُبْصِرٍ في سَعْيِه * أَخْطَأَ التَّوفيقَ فيما طَلَبَا

مَرْحَبًا بالخَطْبِ يَبْلُونِي إذا * كانت العَلْيَاءُ فيه السَّبَبَا (٢)

عَقَّنِي الدَّهْرُ ولولا أنَّني * أُوثِرُ الحُسْنَى عَقَقْتُ الأَدَبَا (٣)

إيهِ يا دُنْيا اعْبِسِي أو فابْسِمِي * لا أَرَى بَرْقَكِ إلَّا خُلَّبَا (٤)

أنا لولا أنَّ لي مِنْ أُمَّتي * خاذِلًا ما بِتُّ أَشْكو النُّوَبَا

أُمَّةٌ قد فَتَّ في ساعِدِها * بُغْضُها الأَهْلَ وحُبُّ الغُرَبَا (٥)

تَعْشَقُ الأَلْقابَ في غَيْرِ العُلا * وتُفَدِّي بالنُّفُوسِ الرُّتَبَا

وهي والأَحْداثُ تَسْتَهْدِفُها * تَعْشَقُ اللَّهْوَ وتَهْوَى الطَّرَبَا (٦)

لا تُبالِي لَعِبَ القَوْمُ بها * أَمْ بها صَرْفُ اللَّيالِي لَعِبَا (٧)

---

(١) نبا السيف : كل وارتد . (٢) يبلون : يختبرني . (٣) عقه : ترك الاحسان اليه ولم يبر به . يقول : إن الدهر لم ينصفني ، والجاني عليّ هو أدبي ؛ ولولا أني أوثر الاحسان لهجرت الأدب الذي كان سببا في شقائي . (٤) البرق الخلب : الذي يطمع الناس في مطره ويخلفهم .

(٥) فت في ساعدها : عبارة يكني بها عن الإضعاف وإبهان القوى . (٦) والأحداث تستهدفها ، أي أن حوادث الدهر تجعلها هدفا لها ترميه . (٧) يريد «بالقوم» : الانجليز . وصروف الليالي : غيرها ونوائبها . أي أنها لا تعبأ بحوادث الزمان تصيبها من المحتلين أو من الدهر .

لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّى قِصَّةً * ذاتَ شَجْوٍ وحَدِيثًا عَجَبَا (١)

كنتُ أَهْوَى فى زَمانى غادَةً * وَهَبَ اللهُ لها ما وَهَبَا (٢)

ذاتَ وَجْهٍ مَزَجَ الحُسْنُ بِهِ * صُفْرَةً تُنْسِى اليَهُودَ الذَّهَبَا

حَمَلَتْ لى ذاتَ يومٍ نَبَأً * لا رَعاكَ اللهُ يا ذاكَ النَّبَا

وأَتَتْ تَخْطِرُ واللَّيلُ فَتِىٌّ * وهِلالُ الأُفْقِ فى الأُفْقِ حَبَا (٣)

ثمّ قالت لى بِثَغْرٍ باسِمٍ * نَظَمَ الدُّرَّ بِهِ والحَبَبَا: (٤)

تَبْتُغُونى بِرَحِيلٍ عاجِلٍ * لا أَرَى لى بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا (٥)

ودَعانى مَوْطِنى أَنْ أَغْتَدِى * عَلَّنِى أَقْضِى له ما وَجَبَا (٦)

نَذْبَحُ الدُّبَّ ونَفْرِى جِلْدَهُ * أَيَظُنُّ الدُّبُّ أَلَّا يُغْلَبَا (٧)

قلتُ والآلامُ تَفْرِى مُهْجَتِى: * وَيْكِ! ما تَصْنَعُ فى الحَرْبِ الظِّبَا؟ (٨)

ما عَهِدْناها لَظَبْيٍ مَسْرَحًا * يَبْتَغِى مَلْهًى به أو مَلْعَبَا

لَيْسَتِ الحَرْبُ نُفوسا تُشْتَرَى * بالتَّمَنِّى أو عُقُولًا تُسْتَبَى (٩)

---

(١) يقال : شجاه شجوا ، اذا هيج أحزانه وشوقه . (٢) الغادة : المرأة الناعمة الليّنة .

(٣) والليل فتى ، أى فى أوله . وشبه الهلال فى أول طلوعه بالطفل الذى يحبو فى مهده .

(٤) الحبب : الفقاقيع التى تعلو سطح الماء ، شبه بها الأسنان فى بياضها . (٥) المنقلب : العودة والرجوع . (٦) أغتدى ، أى أبادر مبكرة للدفاع عنه . (٧) الدب : رمز تعرف به روسيا ، كما تعرف انجلترا بالأسد ، واليابان بالتنين ، وألمانيا بالنسر . ونفرى : نشق . ويشير بهذا البيت الى الحرب التى نشبت بين اليابان وروسيا فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م وانتهت بالصلح فى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥ م . (٨) الظبا : الظباء ، وقصر للشعر . (٩) تستبى : تؤسر بالحب .

أَحَسِبْتِ القَدَّ مِنْ عُنَّتِها * أم ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فيها كالشَّبَا؟ (١)

فَسَلِينِي، إنَّنِي مارَسْتُها * وَرَكِبْتُ الهَوْلَ فيها مَرْكَبَا (٢)

وَتَقَحَّمْتُ الرَّدَى فى غارَةٍ * أَسْدَلَ النَّقْعُ عليها هَيْدَبَا (٣)

قَطَّبَتْ ما بينَ عَيْنَيْها لَنا * فرأيتُ الموتَ فيها قَطَّبَا (٤)

جالَ عِزْرائيلُ فى أَنْحائِها * تحتَ ذاكَ النَّقْعِ يَمْشِى الهَيْذَبَى (٥)

فَدَعِيها لِلَّذى يَعْرِفُها * وَارْمِى يا ظَبْيَةَ البانِ الخِلِبَا (٦)

فأجابَتْنِي بصَوْتٍ راعَنِي * وأرَتْنِى الظُّبْيَ لَيْثًا أغْلَبَا: (٧)

إنَّ قَوْمِى اسْتَعْذَبُوا وِرْدَ الرَّدَى * كيف تَدْعُونِى ألَّا أَشْرَبَا؟

أنا يا بانِيَةٌ لا أَنْثَنِي * عَنْ مُرادِى أو أَذُوقَ العَطَبَا (٨)

أنا إنْ لَمْ أُحْسِنِ الرَّمْىَ ولَمْ * تَسْتَطِعْ كَفَّاىَ تَقْلِيبَ الظُّبَا (٩)

---

(١) القد : القامة . والشبا : جمع شباة ، وهى حد السنان . (٢) مارستها : عانيتها .

(٣) تقحمت الردى : رميت بنفسى فى غمرته . والنقع : الغبار . والهيذب : السحاب المتدلى من أسافله . وإثارة الغبار وكثرته وارتفاعه فى الحرب ، كناية عن شدتها وكثرة الكر والفر فيها .

(٤) التقطيب : العبوس . والضمير فى «قطبت» للغارة . (٥) الهيذبى (بالمعجمة والمهملة) : نوع من المشى فيه جد . ويشير بهذا البيت إلى كثرة ما تخطفه عزرائيل من الأرواح فى هذه الحرب .

(٦) البان : شجر سبط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، تأكله الظباء . والخلبا (بالقصر) : الخباء (بالمد) ، وقصر للشعر . وهو فى الأصل : البيت من وبر أو صوف ، ويريد به البيت عامة .

(٧) راعنى : أفزعنى . والأغلب من السباع : الغليظ الرقبة ، وهى علامة القوة . يقول : إنها غضبت من تنقصه لها ، وأنها لا تصلح لحرب ، فأجابته بصوت أفزعه لشدته وقسوته ، واستحالت من ظبى وادع إلى أسد قوى . (٨) العطب : الهلاك . (٩) الظبا : جمع ظبة (بضم الأول) وهى حد السيف أو السنان .

أَخْذُمُ الجَرْحَى وأَقْضِى حَقَّهُمْ * وأُوَاسِى فى الوَغَى مَنْ نُكِبَا (١)

هٰكذا (المِيكادُ) قد عَلَّمَنا * أَنْ نَرَى الأَوْطانَ أُمًّا وأَبَا (٢)

مَلِكٌ يكفيكَ منه أنه * أَنْهَضَ الشَّرْقَ فهَزَّ المَغْرِبا

وإذا مارَسْتَه أَلْفَيْتَه * حُوَّلًا فى كلِّ أَمْرٍ قُلَّبا (٣)

كان والتاجُ صغيرَيْنِ مَعًا * وجَلالُ المُلْكِ فى مَهْدِ الصِّبا

فغدا هٰذا سَمَاءً للعُلا * وغَدا ذٰلكَ فيها كَوْكَبا

بَعَثَ الأُمَّةَ مِنْ مَرْقَدِها * ودَعَاها للعُلا أَنْ تَدْأَبا (٤)

فَسَمَتْ للمَجْدِ تَبْغِى شَأْوَه * وقَضَتْ مِن كلِّ شىءٍ مَأْرَبا (٥)

الحرب اليابانية الروسية (٦)

[نشرت فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٤ م]

أَسَاحَةٌ للحَرْبِ أم مَحْشَرُ * ومَوْرِدُ المَوْتِ أم الكَوْثَرُ؟ (٧)

وهٰذه جُنْدٌ أَطاعُوا هَوَى * أَربابِهِمْ ، أم نَعَمٌ تُحْشَرُ؟ (٨)

---

(١) الوغى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة . (٢) الميكادو : لقب ملك اليابان .

(٣) الحوّل : الشديد الاحتيال ، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ فى أخرى . والقلب : البصير بتقلب الأمور .

(٤) تدأب : تجتهد فى طلبها . (٥) الشأو : الغاية . (٦) هى تلك الحرب التى نشبت بين اليابان والروس بسبب أحتلال الروس لمنشوريا ، وبدأت بنسف اليابانيين بزجا من الأسطول الروسى فى ميناء بورت أرثر فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م ، وانتهت فى سبتمبر سنة ١٩٠٥ م بصلح اعترف فيه بنفوذ اليابان فى كوريا ، وبجلاء الروس عن منشوريا ، وبشروط أخرى فى صالح اليابانيين . (٧) الكوثر : النهر ، وسمى به نهر فى الجنة . شبه (فى الشعار الأول) كثرة المتحاربين وازدحامهم على القتال بازدحام الناس يوم المحشر ، وشبه فى الشطر الثانى استعذاب الناس الموت باستعذابهم الكوثر . (٨) النعم : الإبل والشاء والبقر ، يريد أن الأرواح قد رخصت فى هذه الحرب وكثر القتل فى الجنود حتى لم تتبين إن كان هؤلاء بشرا يجب حقن دمائهم أو أنعاما تحر .

لِلّٰهِ ما أَقْسَى قُلوبَ الأُلَى * قامُوا بِأَمْرِ المُلْكِ وَاسْتَأْثَرُوا !
وَغَرَّهُمْ فِي الدَّهْرِ سُلْطانُهُمْ * فَأَمْعَنُوا فِي الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرُوا (١)
قَدْ أَقْسَمَ البِيضُ بِصُلْبانِهِمْ * لا يَهْجُرُونَ المَوتَ أَوْ يُنْصَرُوا (٢)
وَأَقْسَمَ الصُّفْرُ بِأَوْتادِهِمْ * لا يَغْمِدُونَ السَّيْفَ أَوْ يَظْفَرُوا (٣)
فَادَتِ الأَرْضُ بِأَوْتادِها * حِينَ الْتَقَى الأَبْيَضُ وَالأَصْفَرُ (٤)
وَأَتْمَلَتْها غَمْرَةٌ مِنْ دَمٍ * يَلْهُو بِها (المِيكادُ) وَالقَيْصَرُ
وَأَشْبَهَتْ يَومَ الوَغى أُخْتَها * إِذْ لاحَ فِيها الشَّفَقُ الأَحْمَرُ (٥)
وَأَصْبَحَتْ تَشْتَاقُ طُوفانَها * لَعَلَّها مِنْ رِجْسِها تَطْهُرُ (٦)
أَشْبَعْتِ يا حَرْبُ ذِئابَ الفَلا * وَغَصَّتِ العِقْبانُ وَالأَنْسُرُ (٧)
وَسِيرَتِ الحِيتانُ فِي بَحْرِها * وَمَطْمَعُ الإِنسانِ لا يُقْدَرُ (٨)
إِنْ كانَ هٰذا الدُّبُّ لا يَتَّقِي * وَذٰلِكَ التِّنِّينُ لا يُقْهَرُ (٩)

---

(١) أمعن : بالغ وأبعد . (٢) يريد «بالبيض» : الروس .
(٣) يريد «بالصفر» : اليابانيين . (٤) مادت : تحركت واضطربت . وأوتاد الأرض : جبالها .
(٥) الضمير في «أشبهت» للأرض . ويريد «بأختها» : السماء .
(٦) الرجس : النجس . ومعنى هذا البيت مأخوذ من قول المعرى :

والأرض تطوفان مشتاقة * لعلها من درن تغسل

(٧) غصت : امتلأت وضجت . والعقبان : جمع عقاب ، وهو طائر من الجوارح . والأنسر : جمع نسر . يشير إلى كثرة ما تأكل هذه الجوارح والوحوش من جثث القتلى . (٨) ميرت ، أي لها بالميرة ، أي بالطعام من جثث القتلى . ولا يقدر ، أي لا يحد ولا ينتهى .
(٩) التنين : الحية العظيمة . ويشير (بالدب) إلى روسيا ، و(بالتنين) إلى اليابان .

والبِيضُ لا تَرْضَى بِخِذْلانِها * والصُّفْرُ بعد اليومِ لا تُكْسَرُ

فما لِتِلْكَ الحَرْبِ قد شَمَّرَتْ * عن ساقِها حتَّى قَضَى العَسْكَرُ (١)

سالَتْ نُفوسُ القَوْمِ فَوْقَ الظُّبَا * فسالَتِ البَطْحاءُ والأَنْهُرُ (٢)

وأَصْبَحَتْ (مكْدُنُ) ياقُوتةً * يَغارُ منها الدُّرُّ والجَوْهَرُ (٣)

ياقُوتةً قد قُوِّمَتْ بينهمْ * بالنُّفُسِ كالقَطْرِ لا تُحْصَرُ (٤)

أَضْحَى رَسُولُ المَوْتِ ما بينها * حَيْرانَ لا يَدْرِى بما يُؤْمَرُ

عِزْرِيلُ، هل أَبْصَرْتَ فيما مَضَى * ... وأنتَ ذاكَ الكَيِّسُ الأَمْهَرُ

كذلك المِدْفَعِ فى بَطْشِه * إذا تَعالَى صَوْتُه المُنْكَرُ؟ (٥)

تَراهُ إنْ أَوْفَى على مُهْجَةٍ * لا الدِّرْعُ يُثْنِيه ولا المِغْفَرُ (٦)

أَمْسَى (كُرُوبَتْكين) فى غَمْرَةٍ * وباتَ (أُوياما) له يَنْظُرُ (٧)

---

(١) قضى : هلك . ويريد الشاعر بهذا البيت والبيتين اللذين قبله أن الدولتين إذا كانتا قد تكافأتا فى الشجاعة والقوة ، وصممت كلتاهما على ألا تخذل ، فثم الحرب وإراقة الدماء ، والحرب لا تقوم إلا حيث يكون منتصر ومنهزم . (٢) الظبا : جمع ظبة ، وهى حد السيف أو السنان . والبطحاء : مسيل الماء فيه دقاق الحصى ، ويريد به هنا : الفضاء المتسع . (٣) مكدن : مدينة مشهورة فى منشوريا ، وكانت بها الموقعة الفاصلة التى بدأت يوم ٦ مارس سنة ١٩٠٥ م . واستمرت خمسة أيام ، وبلغ مجموع ما خسره الفريقان فيها عشرين ومائة ألف مقاتل ، بين قتيل وجريح ، وأسر فيها من الروس أربعون ألفا . يقول : إن هذا البلد قد غطيت أرضه بالدماء حتى أصبحت كأنها ياقوتة حمراء تُرى بالدر والجوهر . (٤) يريد « بالأنفس » فى هذا البيت : من قتل فى هذه المدينة من الفريقين .

(٥) كذلك ، متعلق « بأبصرت » . (٦) أوفى : أشرف . والمغفر : زرد يلبس تحت القلنسوة .

(٧) كروباتكين : قائد الروس فى تلك الحرب . وأوياما : قائد اليابان . والغمرة : الشدة التى تغمر الناس ، أى تعمهم وتشملهم .

وظَلَّت (الرُّوسُ) على بَحْرَةٍ * والمَجْدُ يَدْعُوهُمْ ألا فاصْبِرُوا

وذَلكَ الأسْطُولُ ما خَطْبُه * حتَّى عَراهُ الفَزَعُ الأكْبَرُ؟ (١)

أصْكَلُّما لاحَ لَه سابِحٌ * تحتَ الدُّجَى أو قارِبٌ يَمْخُرُ (٢)

ظَنَّ به (طُوجُو) فأهْدَى له * تَحِيَّةً (طُوجُو) بها أخْبَرُ؟ (٣)

تحيَّةً مِنْ واجِدٍ شَيِّقٍ * أنْفاسُه مِنْ حَرِّها تَزْفِرُ (٤)

فهل دَرَى القَيْصَرُ فى قَصْرِه * ما تُعْلِنُ الحَرْبُ وما تُضْمِرُ؟ (٥)

فكَمْ قَتِيلٍ باتَ فَوْقَ الثَّرَى * يَنْتابُه الأظْفُورُ والمِنْسَرُ (٦)

وكَمْ جَرِيحٍ باسِطٍ كَفَّه * يَدْعُو أخاه وهو لا يُبْصِرُ

وكَمْ غَرِيقٍ راحَ فى لُجَّةٍ * يَهْوِى بها الطَّوْدُ فلا يَظْهَرُ (٧)

وكَمْ أسِيرٍ باتَ فى أسْرِه * ونَفْسُه مِن حَسْرَةٍ تَقْطُرُ

إنْ لَمْ تَرَوْا فى الصُّلْحِ خَيْرًا لكُمْ * فالدَّهْرُ مِنْ أطْماعِكُمْ أقْصَرُ

---

(١) يريد «بالأسطول» : أسطول روسيا . (٢) يمخر : يشق عباب الماء .

(٣) طوجو : أمير من أمراء البحر اليابانيين المعروفين بالقوة ، وهو الذى نسف أسطول بحر البلطيق الروسى فى موقعة تسوشيما فى ٢٧ مايو سنة ١٩٠٥ م ، وقضى بذلك على كل أمل للروس فى هذه الحرب .

(٤) يريد «بالواجد الشيق» : المدفع . ويريد «بالتحية» : ما يصبه المدفع على السفية من مقذوفاته ، ولا يخفى ما فى هذا من التهكم . (٥) يقول : هل علم القيصر وهو نائم مطمئن فى قصره بويلات الحرب ، ما ظهر منها وما بطن ، فينبه ذلك عن إثارتها والاستمرار فيها . (٦) الأظفور : الظفر . والمنسر (كمجلس ومنبر) : مقار الطائر . يقول : إن القتلى أصبحوا فوق الثرى نهبا للسباع المفترسة والطيور الكاسرة . (٧) اللجة : معظم البحر . والطود : الجبل العظيم . يصف اللجة بالعمق بحيث لو هوى فيها الجبل لم يظهر .

تَسُوءُنا الحَرْبُ وإنْ أَصْبَحَتْ * تَدْعُو رِجالَ الشَّرْقِ أنْ يَفْخَرُوا
أَنَى على الشَّرْقِ حِينٌ إذا * ما ذُكِرَ الأَحْياءُ لا يُذْكَرُ
ومَرَّ بالشَّرْقِ زَمانٌ وَمَا * يَمُرُّ بالبالِ ولا يَخْطِرُ
حتّى أعادَ (الصُّفْرُ) أيّامَه * فانتَصَفَ الأَسْوَدُ والأَسْمَرُ
فرَحْمَةُ اللهِ على أُمَّةٍ * يَرْوِي لها التاريخُ ما يُؤْثَرُ (١)

الى الامبراطورة أوجيني (٢)

نظم هذه القصيدة إجابة لاقتراح صحيفة المؤيد على الشعراء أن ينظموا فى هذه الامبراطورة ، ويوازنوا بين مجيئها إلى مصر متنكرة تنزل فى فندق سافواى ببورسعيد ، ومجيئها قبل ذلك فى سنة ١٨٦٩ فى افتتاح قناة السويس ، واستقبال الخديوى اسماعيل إياها استقبالا فخما .

[نشرت فى ٢٦ يناير سنة ١٩٠٥ م]

أَيْنَ يومُ (القَنَالِ) يا رَبَّةَ التَّا * جِ ويا شَمْسَ ذٰلِكَ المِهْرَجانِ ؟ (٣)
أَيْنَ مُجْرِي القَنالِ أَيْنَ مُمِيتُ الـ * ـمالِ أَيْنَ العَزِيزُ ذُو السُّلْطانِ ؟ (٤)

---

(١) يريد «بالأمة» هنا : مصر ، يحسر عليها ويندب ما ضيا .

(٢) ولدت أوجيني فى غرناطة فى ٥ مايو سنة ١٨٢٦ م . وفى ٣ يناير سنة ١٨٥٣ تزوجها نابليون الثالث ، وكانت فيمن حضر الى مصر لافتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ، وقد أنفق الخديوى اسماعيل باشا فى استقبالها الكثير من المال ، وبعد وفاة زوجها هجرت فرنسا الى إنجلترا ، ثم تركت إنجلترا إلى مدريد ، وبها ماتت فى ١١ يوليه سنة ١٩٢٠ م .

(٣) المهرجان : عيد الفرس ، ويطلق الآن على كل عيد .

(٤) مجرى القنال ، يريد اسماعيل باشا الخديوى ، وإماتة المال : كناية عن الإسراف والاتساع فى البذل .

أين هارونُ مِصْرَ؟ أين أبو الأشـ * ـبالِ رَبُّ القُصورِ رَبُّ القِيانِ؟ (١)

أين لَيْثُ الجَزيرةِ (ابنُ عَلِيٍّ) * واهِبُ الألْفِ مُكْرِمُ الضِّيفانِ؟ (٢)

أين ذا القَصْرُ بالجَزيرةِ تَجْرِي * فيه أرْزاقُنا وتَحْبُو الأمانِي؟

فيه للنَّحْسِ كَوْكَبٌ مُسْرِعُ السَّيْـ * ـرِ وللسَّعْدِ كوكبٌ مُتَوانِي (٣)

قد جَرَى النِّيلُ تحتَه بخُشُوعٍ * وانكسارٍ وهابَهُ الفَتَيانِ (٤)

كنتَ بالأمسِ جَنَّةَ الحُورِ يا قَصْـ * ـرُ فأصْبَحْتَ جَنَّةَ الحَيَوانِ

خَطَرَ اللَّيْثُ فى فِنائِكَ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَسْرَحًا لِلحِسانِ (٥)

وعَوَى الذِّئْبُ فى نَواحِيكَ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَعْقِلًا لِلْأمانِ (٦)

وحَباكَ الزُّوّارُ بالمالِ يا قَصْـ * ـرُ وقد كنتَ مَصْدَرَ الإحْسانِ (٧)

كنتَ تُعْطِى، فمالَكَ اليَوْمَ تُعْطَى * أينَ بانِيكَ؟ أينَ رَبُّ المَكانِ؟

إنْ أطاقَتْ بكَ الخُطوبُ فهٰذِى * سُنَّةُ الكَوْنِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمانِ

---

(١) هارون : هو هارون الرشيد الخليفة العباسى المعروف، وشبه به إسماعيل فى ترفه وجاهه وسعة سلطانه، وما حفلت به أيامه من مجالس اللهو والغناء، وما عرف به من كرم وسخاء . والأشبال : أولاد إسماعيل . والقيان : الإماء المغنيات .

(٢) يشير بقوله : «ليث الجزيرة» الى أن إقامة إسماعيل كانت بقصر الجزيرة الذى صار حديقة الحيوان، كما سيشير الشاعر الى ذلك بعد . وابن على، لأنه حفيد محمد على .

(٣) يريد أن صاحب هذا القصر اذا غضب فسرعان ما يزول غضبه، واذا أقبل طال إقباله، فكأنه فى غضبه كوكب نحس ما طلع حتى غاب، وفى رضاه كوكب سعد طويل الإقامة، بطىء السير .

(٤) الفتيان : الليل والنهار؛ يريد الدهر .

(٥) الفناء : الساحة .

(٦) معقل للسان، أى حابس له عن الكلام هيبة لصاحب القصر وخوفا من بطشه .

(٧) حباه : أعطاه . يشير إلى ما يدفعه كل داخل إلى حديقة الحيوان .

رُبَّ بانٍ نَأَى، ورُبَّ بِناءٍ * أَسْلَمَتْه النَّوَى إلى غيرِ بانِي (١)

تلك حالُ الإيوانِ يا رَبَّةَ الدَّا * جِ فما حالُ صاحِبِ الإيوانِ؟ (٢)

قد طَواهُ الرَّدَى ولو كان حَيًّا * لَمَشَى فى رِكابِكِ الثَّقَلانِ (٣)

وتولَّتْ حِراسَةَ المَوْكِبِ الأَسْـ * ـنَى نجومُ السَّماءِ والنَّيِّرانِ (٤)

إن يكن غابَ عَنْ جَبِينِكِ تاجٌ * كان بالغَرْبِ أَشْرَفَ التِّيجانِ

فلقد زانَكِ المَشِيبُ بتاجٍ * لا يُدانيه فى الجَلالِ مُدانِي

ذاكَ مِنْ صَنْعَةِ الأنامِ وهٰذا * مِن صَنِيعِ المُهَيْمِنِ الدَّيَّانِ

كنتِ بالأمْسِ ضَيْفَةً عندَ مَلْكٍ * فَأَنْزِلِي اليومَ ضَيْفَةً فى خانِ (٥)

وأَعِدِّينا على القُصُورِ، كِلانا * غَيَّرَتْه طَوارِئُ الحِدْثانِ (٦)

---

(١) نأى : بعد وذهب . والنوى : البعد . يقول : قد يذهب بانى الدار ويخلفه عليها من لم يبنها .

(٢) يريد «بالإيوان» : القصر، وهو فى الأصل الصفة العظيمة ؛ أعجمى معرب .

(٣) الردى : الهلاك والموت . والثقلان : الإنس والجن . ويشير بهذا البيت والذى بعده الى ما كان أعده لها اسماعيل باشا حين حضرت الى مصر سنة ١٨٦٩ م، فى مهرجان فتح قناة السويس من ضروب الحفاوة والإكرام .

(٤) الأسنى، من السناء، وهو الرفعة . والنيران : الشمس والقمر .

(٥) الخان : الحانوت . ويريد به هنا : الفندق . يريد أنها بعد أن كانت تنزل فى قصر ملك أصبحت تنزل فى الفنادق حيث ينزل عامة الناس .

(٦) القصور : التقصير . والحدثان (بكسر الحاء وسكون الدال) : النوائب .

عيد تأسيس الدولة العلية

أنشدها فى الحفل الذى أقيم فى فندق (الكونتنتال) فى مساء الجمعة ٢٦ يناير سنة ١٩٠٦ م

أيُحْصِى مَعانِيكَ القَرِيضُ المُهَذَّبُ * على أنّ صَدْرَ الشِّعْرِ لِلْمَدْحِ أَرْحَبُ

لقد مَكَّنَ الرَّحْمٰنُ فى الأَرْضِ دَوْلَةً * لعُثمانَ لا تَعْفُو ولا تَتَشَعَّبُ (١)

بَنَاها فظَلَّتْها الدَّرارِى مَنَازِلًا * لِبَدْرِ الدُّجَى تُبْنَى وللسَّعْدِ تُنْصَبُ (٢)

وقامَ رِجالٌ بالإمامَةِ بَعْدَه * فزادُوا على ذَاكَ البِناءِ وطَنَّبُوا (٣)

وَرَدُّوا على الإسْلامِ عَهْدَ شَبابِه * ومَدُّوا له جاهًا يُرَجَّى ويُرْهَبُ

أُسُودٌ على البُسْفُورِ تَحْمِى عَرِينَها * وتَرْعَى نِيامَ الشَّرقِ والغَرْبُ يَرْقُبُ (٤)

لها وَثَباتٌ تحت ظِلِّ هِلالِها * كما مَرَّ سَهْمٌ أو كما انْقَضَّ كَوْكَبُ (٥)

إذا راعَها مَسٌّ مِنَ الضَّيْمِ خِلْتَها * كَمَنْ راعَه بالمَسِّ سِلكٌ مُكَهْرَبُ (٦)

وإنْ هَزَّها ذاكَ الهِلالُ لحادِثٍ * رأيتَ قَضاءَ اللهِ يَمْشِى ويَرْكَبُ (٧)

إذا ضاءَتِ الأَحْسابُ يومًا لمُعْرِقٍ * فعُثمانُ خَيْرُ الفاتِحِينَ لهم أَبُ (٨)

---

(١) عثمان ، هو عثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية ، وإليه تنسب ؛ ولد سنة ٦٥٦ هـ ، وتولى السلطنة سنة ٦٩٩ هـ ، وتوفى سنة ٧٢٦ هـ . وتعفو : تندثر وتمحى . وتتشعب : تتفرق .

(٢) الدرارى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : الكواكب المضيئة الصافية البياض ، الواحد درى .

(٣) طنبوا البناء : مكنوه وزادوه متنة وقوة . وأصل التطنيب : شد الخيمة بالأطناب ، وهى الحبال .

(٤) العرين : مأوى الأسد . (٥) يريد « بهلالها » : رايتها المرسوم فيها الهلال ، وهو شعار الدولة العثمانية . (٦) راعها : أفزعها . (٧) يشير بقوله « يمشى ويركب » : إلى مشاة الجيش وفرسانه . (٨) المعرق : الذى له عرق وأصل فى الكرم .

وإنْ تَهَ بالأَبْنَاءِ والبَأسِ والنَّدَى * فأَوْلَى الوَرَى بالتِّيهِ ذاكَ المُعَصَّبُ (١)

فهٰذا سُلَيْمانٌ وقانُونُ عَصْرِهِ * على صَفَحاتِ الدَّهْرِ بالتِّبْرِ يُكْتَبُ (٢)

وذَاكَ الذى أَجْرَى السَّفِينَ على الثَّرَى * وسارَ له فى البَرِّ والبَحْرِ مَرْكَبُ (٣)

عَلى بابِهِ العالِي هُنَالِكَ تَألَّقَتْ * سُطورٌ لأَقْلامِ الجَلالَةِ تُنْسَبُ (٤)

هُنَا فَاخْفِضُوا الأَبْصارَ عَرْشُ مُحَمَّدٍ * هُنا الفاتِحُ الغازِي الكَمِيُّ المُدَرَّبُ (٥)

وما كانَ مِنْ (عَبْدِ المجيدِ) إذ انْتَمَى * بأَكْتافِهِ (كُوشُوطُ) والخَطْبُ غَيْهَبُ (٦)

(١) المعصب : المتوج . (٢) سليمان ، هو سليمان القانونى ، السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان ، وهو ابن السلطان سليم . ولد سنة ٩٠٠ هـ . وتولى الملك سنة ٩٢٦ هـ . ومات سنة ٩٧٤ هـ . وقد لقب بالقانونى لأنه وضع قانونا للدولة تسير على مقتضاه .

(٣) يشير بهذا البيت الى الطريقة التى اتبعها محمد الفاتح فى مهاجمة القسطنطينية ، وتسييره سفنه على البر حتى وصل بها الى القرن الذهبى . (٤) تألقت : أضاءت ولمعت . (٥) الكمى : الشجاع . ومحمد ، هو محمد الملقب بالفاتح ، وهو السلطان السابع من سلاطين آل عثمان . ولد سنة ٨٣٣ هـ . وتولى الملك سنة ٨٥٥ هـ وهو فى الحادية والعشرين من عمره ، فبادر بالذهاب لفتح القسطنطينية . وفى سنة ٨٥٧ هـ — ١٤٥٣ م تم له فتحها ؛ وتوفى فجأة سنة ٨٨٦ هـ . ومدة ملكه إحدى وثلاثون سنة .

(٦) الغيهب : الشديد السواد . وعبد المجيد ، هو السلطان الحادى والثلاثون من سلاطين آل عثمان ، ولد سنة ١٢٣٧ هـ ، وتولى السلطنة سنة ١٢٥٥ هـ بعد وفاة أبيه السلطان محمود ، وتوفى سنة ١٢٧٧ هـ ، ومدة جلوسه اثنان وعشرون عاما . ويشير الشاعر بهذا البيت والذى بعده إلى ما حدث سنة ١٨٤١ م ، وذلك أن جماعة من الفارين ، ما بين بولونيين ومجريين ، التجأوا إلى البلاد العثمانية ليتستروا فيها بالسكون والهدوء ، بعد أن ناهم الشيء الكثير من الظلم والاضطهاد والعذاب على أيدى النمساويين والروس الذين قمعوا الثورات الناشبة فى بولونيا والمجر ، وكان بين هؤلاء الفارين زعماء مشهورون ، منهم (كوشوط) المجرى المذكور فى هذا البيت ؛ وكان زعيم ثورة يقصد بها تحرير المجر ، فطلبت النمسا والروسيا من الدولة العثمانية تسليمهم ، فرفض ذلك السلطان عبد المجيد بحجة أن هذا التسليم لا تقره شريعة ولا خلق ، وعضده فى ذلك سفير بريطانيا إذ ذاك ، فكان ذلك سببا لقطع العلاقات بين الدولة العلية وبين النمسا وروسيا ؛ ولولا ظهور الأسطولين الإنجليزى والفرنسى فى مياه الدردنيل لتفاقم الخطب ووقعت الحرب .

يُنادِيهِمُ : أَمَا تَرِيلِي فَدُونَهُ * حَيَاتِي ، وَأَمَّا صَارِمِي فَمُشَطَّبُ (١)

فَإِنْ كَانَتِ الحُسْنَى فَإِنِّي سَمَاؤُهَا * وَإِنْ كَانَتِ الأُخْرَى فَشُدُّوا وَجَرِّبُوا

كَذَلِكَ كَانُوا يَسْتَقُرُّونَ فِي الذُّرَا * وَأَعْدَاؤُهُمْ فِي الغَرْبِ تَشْقَى وَتُنْكَبُ (٢)

فَكَمْ طَلَبُوا مِنْهُمْ أَمَانًا فَأَمَّنُوا * وَأَمْسَى لَهُمْ فِي الشَّرْقِ مَسْرًى وَمَسْرَبُ (٣)

فَكَانَ أَمَانَ القَوْمِ وَالشَّرْقُ مَشْرِقٌ * فَأَضْحَى امْتِيَازَ القَوْمِ وَالشَّرْقُ مَغْرِبُ (٤)

يَقُولُونَ : فِي هٰذِي الرُّبُوعِ تَعَصُّبٌ * وَأَيُّ مَكَانٍ لَيْسَ فِيهِ تَعَصُّبُ؟

فَيَا شَرْقُ إِنَّ الغَرْبَ إِنْ لَانَ أَوْ قَسَا * فَفِيهِ مِنَ الصَّهْبَاءِ طَبْعٌ مُذَوَّبُ (٥)

— تَخَفُّ بِأَسْهَا فِي الرَّأْسِ وَالرَّأْسُ يَصْطَلِي * وَتَخِفُّ ضَعْفَهَا فِي الكَأْسِ وَالكَأْسُ تُطْرِبُ

وَيَا غَرْبُ إِنَّ الدَّهْرَ يَطْفُو بِأَهْلِهِ * وَيَطْوِيهِ تَيَّارُ القَضَاءِ فَيَرْسُبُ (٦)

أَرَاكَ مَقَرَّ الطَّامِعِينَ كَأَنَّمَا * عَلَى كُلِّ عَرْشٍ مِنْ عُرُوشِكَ (أَشْعَبُ) (٧)

---

(١) الصارم : السيف القاطع . والمشطب : الذى فيه شطب ، وهى الخطوط والطرائق التى فى نصله .

(٢) الذرا : جمع ذروة (بالكسر والضم) ، وهى المكان المرتفع .

(٣) الضمير فى «طلبوا» يعود على قوله «أعداؤهم» فى البيت السابق . ومنهم ، أى من آل عثمان . والمسرب : المذهب والطريق .

(٤) يريد «بالقوم» : الافرنج . ويشير بهذا البيت والذى قبله إلى ما نالوه من بعض سلاطين آل عثمان من منح أعطيت لهم لتيسير سبل التجارة ، وتأمينهم على أنفسهم وأموالهم فى بلاد الشرق ، أيام قوة الدولة العثمانية ، ثم صارت هذه المنح بعد ضعفها امتيازات تمسك بها الغربيون وأوذيت بها تركيا ورعاياها .

(٥) الصهباء : الخمر . (٦) يطفو : يطو . ويرسب : يهبط ويسفل .

(٧) أشعب : رجل من المدينة كان مولى لعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ؛ ويضرب به المثل فى الطمع ، فيقال : « أطمع من أشعب » .

حادثة دنشـــواى[1]

[نشرت فى ٢ يوليه سنة ١٩٠٦ م]

أيُّها القائمُونَ بالأمْرِ فينا * هَـلْ نَسِيتُمْ وَلاءَنا والـوِدادَا[2]
خَفَّضُـوا جَيْشَكُمْ وَنَامُـوا هَنِيئا * وابْتَغُـوا صَيْدَكُمْ وجُوبُوا البِلادا[3]
وإذا أعْوَزَتْـكُمُ ذاتُ طَـوْقٍ * بين تِلْك الرُّبَا فَصِيـدُوا العِبـادا[4]
إنّمـا نَحْنُ والحَمَامُ سَـواءٌ * لَمْ تُغـادِرْ أَطْـوَاقُنا الأَجْيادا[5]
لا تَظُنُّـوا بِنـا العُقُـوقَ ولَكِنْ * أَرْشِـدُونا إذا ضَـلَلْنا الرَّشادا
لا تُقِيـدُوا مِنْ أُمَّةٍ بِقَتِيـلٍ * صادَتِ الشمسُ نَفْسَـهُ حِينَ صَادا[6]
جاءَ جُهّـالُنا بأَمْـرٍ وجِئْـتُمْ * ضِعْفَ ضِعْفَيْهِ قَسْـوَةً واشْتِدادا

---

(١) فى يوم الأربعاء ١٣ يونيه سنة ١٩٠٦ م ، قام خمسة من الضباط الإنجليز من معسكرهم ، وقصدوا إلى بلدة دنشواى بإقليم المنوفية من أعمال مركز تلا ، لصيد الحمام ، وهناك أصيب بعض الأهلين فاصطدموا بالإنجليز ؛ فأصيب بعض الضباط بإصابات أفضت إلى الموت ، فثارت ثائرة اللورد كرومر عميد الدولة البريطانية إذ ذاك ، وعقدت المحكمة المخصوصة لمحاكمتهم ، وكان المدعى العمومى فيها ابراهيم الهلباوى بك المحامى المعروف ؛ وقضت هذه المحكمة بإعدام أربعة من الأهلين ، وجلد وحبس ثمانية منهم . ونفذ الإعدام والجلد فى نفس البلد على مرأى ومسمع من أهله ، وكان فى ذلك الحكم وفى تنفيذه من القسوة ما أثار الأنفس وأطلق ألسنة الوطنيين وزعماء النهضة بما يجيش فى النفوس من أسى وحسرة .

(٢) الخطاب فى هذا البيت وما بعده للإنجليز .

(٣) جاب البلاد : قطعها .

(٤) ذات الطوق : الحمامة المطوقة ، لأن لها طوقا حول عنقها ، وهو لون يخالف سائر لونها .

(٥) يريد « بالأطواق » فى هذا البيت : أغلال الأسر والاستعباد . والأجياد : الأعناق ؛ الواحد جيد .

(٦) يقال : أقاد الأمير القاتل بالقتيل ، إذا قتله به . ويشير بهذا البيت إلى ما تقرره الأطباء من أن وفاة الضابط الإنجليزى كانت بضربة الشمس ، لا بإصابة أحد .

أَحْسِنُوا القَتْلَ إن ضَنِنْتُمْ بِعَفْوٍ * أَقِصاصًا أَرَدْتُمُ أَمْ كِيَادَا؟

أَحْسِنُوا القَتْلَ إن ضَنِنْتُمْ بِعَفْوٍ * أَنُفُوسًا أَصَبْتُمُ أَمْ جَمَادَا؟

لَيْتَ شِعْرِي أَتِلْكَ (مَحْكَمَةُ التَّفْـ * ـتِيشِ) عادَتْ أَمْ عَهْدُ (نِيرُونَ) عَادَا؟ (١)

كيف يَحْلُو مِنَ القَوِيِّ التَّشَفِّي * مِنْ ضَعِيفٍ أَلْقَى إليه القِيَادَا؟

إنَّها مُثْلَةٌ تَشُفُّ عن الغَيْـ * ـظِ ولَبْسًا لِغَيْظِكُمْ أَنْدَادَا (٢)

أَكْرِمُونا بِأَرْضِنا حيثُ كُنْتُمْ * إنَّما يُكْرِمُ الجَوادُ الجَوادَا

إنَّ عِشْرِينَ حِجَّةً بَعْدَ خَمْسٍ * عَلَّمَتْنَا السُّكُونَ مَهْمَا تَمَادَى (٣)

أُمَّةُ النِّيلِ أَكْبَرَتْ أَنْ تُعادِي * مَنْ رَماها وأَشْفَقَتْ أَنْ تُعَادَى (٤)

لَيْسَ فِيها إلَّا كَلامٌ وإلَّا * حَسْرَةٌ بَعْدَ حَسْرَةٍ تَتَهَادَى

* * *

أَيُّها المُدَّعِي العُمُومِيُّ مَهْلًا * بَعْضَ هٰذا فقد بَلَغْتَ المُرَادَا (٥)

قد ضَمِنَّا لك القَضاءَ بِمِصْرٍ * وضَمِنَّا لِنَجْلِكَ الإسْعَادَا (٦)

---

(١) تعرف محاكم التفتيش بالقسوة والظلم واضطهاد الناس ومصادرة أملاكهم، ثم إحراقهم من غير أن تترك لهم فرصة للدفاع عن أنفسهم؛ وقد استغلت تلك المحاكم فى اضطهاد العرب فى اسبانيا فى آخر أيامهم بها حتى تم جلاؤهم عنها فى سنة ١٦٠٩ م. ونيرون، هو الملك الرومانى المعروف بالظلم والقسوة والاستبداد؛ ومما ينسب اليه أنه أحرق مدينة روما، وكان يوم إحراقها يشاهد النيران تأكل المدينة وأهلها؛ فيسر بهذا المنظر كأنما ينظر الى رواية تمثل فى ملهى من الملاهى. (٢) المثلة (بالضم): التنكيل. وتشف: تكشف وتبين. والأنداد: النظراء؛ الواحد ند (بكسر النون). (٣) الحجة: السنة. (٤) أشفقت: خشيت. (٥) المدعى العمومى: ابراهيم الهلباوى بك. (٦) يشير الى ما كان يقال من أن الهلباوى بك كان قد وعد بأن يكون بعد من رجال القضاء لدفاعه عن الانجليز فى هذه الحادثة.

فإذا ما جَلَسْتَ للحُكْمِ فاذكُرْ * عَهْدَ (مِصْرٍ) فقد شَفَيْتَ الفُؤادَا

لا يَجَرَى النِّيلُ فى نَواحِيكِ يا (مِصْـ * ـرُ) ولا جادَكِ الحَيا حيثُ جادا (١)

أنتِ أَنْبَتِّ ذلكَ النَّبْتَ يا (مِصْـ * ـرُ) فأَضْفَى عليكِ شَوْكًا قَتادَا (٢)

أنتِ أَنْبَتِّ ناعِقًا قامَ بالأَمْـ * ـسِ فأَدْمَى القُلُوبَ والأَكْبادَا (٣)

إيهِ يا مِنْذَرَ القَضاءِ ويا مَنْ * سادَ فى غَفْلَةِ الزَّمانِ وَشَادَا (٤)

أنتَ جَلَّدْتَنا فلا تَنْسَ أَنَّا * قد لَبِسْنا على يَدَيْكَ الحِدادَا

أستقبال اللورد كرومر عند عودته من مصيفه بعد حادثة دنشواى (٥)

[شرت فى ١٧ أكتوبر سنة ١٩٠٦ م]

(قَصْرَ الدُّبارَةِ) هل أتاكَ حَدِيثُنا * فالشَّرْقُ رِيعَ له وضَجَّ المَغْرِبُ (٦)

أَهْلًا بساكِنِكَ الكريمِ ومَرْحَبًا * بعدَ التَّحِيَّةِ إنَّنى أَتَعَتَّبُ (٧)

نَقَلَتْ لنا الأَسْلاكُ عنكَ رِسالَةً * باتَتْ لها أَحْشاؤُنا تَتَلَهَّبُ

---

(١) الحيا : المطر . (٢) القتاد : شجر صلب له شوك كالإبر ، يخاطب مصر بأنها أحسنت إلى بعض أبنائها وبرّت بهم ، فأساءوا إليها وجحدوا نعمتها . (٣) يريد « بالناعق » : المدعى العموى فى هذه القضية . والنعيق (بالعين المهملة ، وفى كتب اللغة أنه بالغين المعجمة أفصح) : صياح الغراب . (٤) المنذر : خطيب القوم والمتكلم عنهم . (٥) انظر الكلام على الحادثة التى وقعت فى هذا البلد (فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء) . (٦) ريع (بالبناء للمجهول) : من الروع ، وهو الفزع . يخاطب فى هذا البيت القصر مريدا صاحبه . (٧) التعتب ، هو تواضع الموجدة ، ويخاطبة المدنيين أخلاهم طالبين حسن مراجعتهم ، ومذاكرتهم ما كره بعضهم من بعض .

ماذا اقولُ وأنتَ أصدقُ ناقلٍ * عنّا ولكنّ السّياسةَ تكذبُ (١)

علّمتنا معنى الحياةِ فما لنا * لا نشترئبُ لها وما لكَ تغضبُ (٢)

أنقمتَ منّا أنْ نُحسّ ؟ وإنما * هذا الذى تدعوهُ إليه وتندبُ (٣)

أنتَ الّذى يُعزَى إليه صلاحُنا * فيما تُقرّرُه لديكَ وتكتبُ (٤)

إنْ ضاقَ صدرُ النّيلِ عمّا هالَه * يومَ الحمامِ فإنّ صدرَكَ أرحبُ (٥)

أوَكلّما باحَ الحزينُ بأنّةٍ * أمسَتْ إلى معنى التّعصّبِ تُنسَبُ ! (٦)

رفقًا عميدَ الدّولتينِ بأمّةٍ * ضاقَ الرّجاءُ بها وضاقَ المذهبُ (٧)

رفقًا عميدَ الدّولتينِ بأمّةٍ * ليستْ بغيرٍ ولائها تتعذّبُ

إنْ أرهقوا صيّادَكمْ فلعلّهمْ * للقُوتِ لا للمسلمينَ تعصّبوا (٨)

ولربّما ضنّ الفقيرُ بقُوتِه * وسخا بمهجتِه على مَنْ يغصبُ (٩)

---

(١) يشير بهذا البيت والذى قبله إلى مقتطفات من تقرير اللورد كرومر عن مصر نقلها البرق إلى الصحف المصرية ، وفيها يطعن على المصريين ويصفهم بأنهم لا يريدون جميلا . (٢) تشرئب لها : تتطلع إليها . والاشرئباب (فى الأصل) : مدّ العنق للنظر . (٣) ندبه إلى الأمر : دعاه إليه .

(٤) يعزى : ينسب . يشير إلى ما كان يكتبه اللورد كرومر فى تقريراته من أنه هو الذى جلب الخير والرفاهية لمصر . (٥) يوم الحمام ، أى يوم صيد الحمام الذى سبب حادثة دنشواى المعروفة .

(٦) الأنة : من الأنين ، وهو التأوه . ويشير بهذا إلى ما وجه إلى المسلمين فى مصر من التعصب الدينى ، وأن ذلك التعصب كان السبب فى قتل الإنجليز فى دنشواى . (٧) عميد الدولتين ، أى عميد الدولة الإنجليزية والمصرية . (٨) أرهقوا صيادكم : اعتدوا عليه وآذوه . ويريد « بالصياد » : أحد ضباط الإنجليز الذين كانوا يتصيدون الحمام فى دنشواى ولاقى حتفه هنالك .

(٩) ضن : بخل . وسخا بمهجته ... الخ ، أى بذل نفسه فى دفع من يغصبه طعامه . ويشير بهذا الى ما حدث من بعض هؤلاء الصيادين ، حين أطلقوا النار على الحمام فأحرقت بعض أبراج القمح هنالك .

فى (دِلْشِـواىَ) وأنتَ عنّـا غائِبٌ * لَعِبَ القضاءُ بنـا وعزَّ المَهْـرَبُ

حَسْـبُ النُّفُوسَ مِنَ الحَمامِ بَدِيلَةً * فتَسـابَقُوا فى صَيْدِهِنَّ وصَـوَّبُوا (١)

نُكِبُوا وأقفرتِ المَنـازِلُ بَعْـدَهُمْ * لو كنتَ حاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يُنْكَبُوا

خَلَّيْتَهُـمْ والقاسِطُونَ بمَرْصَـدٍ * ومِـياطُهُمْ وحِبالُهُـمْ تَتَأَهَّبُ (٢)

جُـلِدُوا ولـو مَنَّيْتَهُمْ لتَعَلَّقُـوا * بحِبـالِ مَنْ شُنِقُوا ولَمْ يَتَهَيَّبُوا (٣)

شُـنِقُوا ولَوْ مُنِحُوا الخِيـارَ لأَهَّلُوا * بلَظَى سِياطِ الجـالِدِينَ ورَحِّبُـوا (٤)

يَتَحاسَـدُونَ على المَمـاتِ، وكأْسُـه * بَيْنَ الشِّفاهِ وطَعْمُهُ لا يَعْـذُبُ

مَوْتانِ : هٰـذا عاجِـلٌ مُتَنَمِّرٌ * يَرْنُـو، وهٰـذا آجِـلٌ يَتَرَقَّبُ (٥)

والمُسْتَشارُ مُكابِـرٌ بِـرِجالِهِ * ومُعاجِـزٌ ومُناجِـزٌ ومُحَـزِّبُ (٦)

يَخْتالُ فى أَثْمـانِهـا مُتَبَسِّـمًا * والدَّمْـعُ حَـوْلَ رِكابِهِ يَتَصَبَّبُ

---

(١) يقال : صوّب السهم نحو الرمية (بتشديد الياء)، إذا سدّده .

(٢) القاسطون : الظالمون الجائرون عن الحق، قال الله تعالى : (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) . والمرصد : المرقب .

(٣) منيتهم، أى خيرتهم فيما يتمنونه من أخف أنواع العذاب .

(٤) أهلوا ورحبوا، أى قالوا : أهلا ومرحبا . ومعنى البيتين : أن كلا من جلد وشنق رأى فى عذابه من الشدة ما تمنى معه أن يستبدل به عذاب أخيه . واللظى : النار؛ وقيل : لهبها .

(٥) المتنمر : الغاضب، تشبيها له بالنمر، لأن من عادته ألا يلقاك دائما إلا متنكرا غضبان . ويرنو : ينظر .

(٦) يريد «بالمستشار» هنا : المستر بوند الإنجليزى، وهو من قضاة المحكمة التى حكمت على متهمى دنشواى . والمعاجز : من عاجزت الرجل، اذا أتيت بما يجعله عاجزا . والمناجز : المقاتل المبارز . ومحزب، أى مفرق أعوانه : فبعضهم يتولى أمر الجلد، والبعض يتولى أمر الشنق ... الخ .

طاحوا بأربعة (١) فأردوا خامسا * هو خير ما يرجو العميد ويطلب

حب يحاول غرسه في أنفس * يحنى بمغرسها الثناء الطيب

كن كيف شئت ولا تكل أرواحنا * للستشار فإن عدلك أخصب

وأفض على (بنيد) إذا ولي القضا * رفقا يهش له القضاء ويطرب

قد كان حولك من رجالك نخبة * ساسوا الأمور فدربوا وتدربوا

أقصيتهم (٢) عنا وجئت بفتية * طاش الشباب بهم وطار المنصب

فاجعل شعارك رحمة ومودة * إن القلوب مع المودة تكسب

وإذا سئلت عن الكنانة قل لهم * هي أمة تلهو وشعب يلعب

واستبق غفلتها ونم عنها تنم * فالناس أمثال الحوادث قلب (٣)

شكوى مصر من الاحتلال

[نشرت في أول يناير سنة ١٩٠٧ م]

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت * حواشيه حتى بات ظلما منظما (٤)

تمن علينا اليوم أن أخصب الثرى * وأنت أصبح المصري حرا منعما (٥)

(١) طاحوا بأربعة : أي ذهبوا بنفوسهم . وأردوا : أهلكوا . ويريد «بالخامس» : الحب المذكور في البيت الآتي .

(٢) أقصيتهم : أبعدتهم . وطار المنصب : أي خفت أحلامهم من الغرور بمناصبهم .

(٣) قلب : أي متقلبون لا يثبتون على حال واحدة . والذي وجدناه في كتب اللغة أن القلب : صفة للفرد أي المتقلب كيف شاء ، وقد أخبر الشاعر به عن الناس مراعاة للفظ ، ومنه قول الشاعر :

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد ؟

(٤) الحواشي : النواحي . وتهذيبها : إصلاحها .

(٥) تمن : يخاطب عميد الدولة الإنجليزية . ويشير الى ما كان يكتبه ذلك العميد في تقريراته من صلاح حال مصر ورقيها بفضل الإنجليز .

أَعِدْ عَهْدَ (إسماعيلَ) جَلْدًا وسُخْرَةً * فإنّي رأيتُ المَنَّ أنكى وآلَمَا (١)

عَمِلْتُمْ على عِزِّ الجمادِ وذُلِّنا * فأغْلَيْتُمُ طِينًا وأرْخَصْتُمُ دَما

إذا أخْصَبَتْ أرضٌ وأجْدَبَ أهْلُها * فلا أطْلَعَتْ نَبْتًا ولا جادَها السَّما (٢)

تَهَشُّ الى الدِّينارِ حتّى إذا مَشَى * به رَبُّه للسوقِ ألْفاهُ دِرْهَما (٣)

فلا تَحْسَبوا فى وَفْرَةِ المالِ لَمْ تُفِدْ * مَتاعًا ولم تَعْصِمْ من الفَقْرِ مَغْنَما

فإنّ كثيرَ المالِ والخَفْضُ وارِفٌ * قليلٌ إذا حَلَّ الغَلاءُ وخَيَّما (٤)

وداع اللّورد كرومر

قالها عند استقالة اللورد وضحك آراء الناس فى سياسته

[نشرت فى ٢٧ ابريل سنة ١٩٠٧ م]

فَتَى الشِّعْرِ هٰذا مَوْطِنُ الصِّدْقِ والهُدَى * فلا تَكْذِبِ التّاريخَ إنْ كُنْتَ مُنْشِدَا (٥)

لقد حانَ تَوْدِيعُ العَمِيدِ وإنّه * حَقِيقٌ بتَشْيِيعِ المُحِبِّينَ والعِدَا (٦)

---

(١) يشير بهذا البيت الى ما كان يردده عميد الدولة الإنجليزية وغيره من ساسة الإنجليز من تفضيل عهد احتلالهم على ما قبله من العهود، ولا سيما عهد إسماعيل، ممتنين على المصريين بأنهم قد أزالوا عنهم ما كان يحيق بهم من المظالم قبل احتلالهم، من تسخير الناس وجلد ظهورهم. (٢) جادها السما أى نزل عليها المطر. (٣) هش اليه: ارتاح وبش ويشير بهذا الى غلاء الحاجات وارتفاع أثمانها، حتى إن الدينار يزل الى قدر الدرهم فى الشراء. (٤) الخفض: سعة العيش ورغده. والوارف: المتسع. يقول: إن كثرة الأموال مع ارتفاع الأسعار وغلاء الحاجات لا تغنى شيئا.

(٥) فتى الشعر، يريد نفسه. (٦) العميد، هو عميد الدولة الإنجليزية فى مصر، وهو اللورد كرومر، وقد بقى بها ما يزيد على أربعة وعشرين عاما، فقد حضر اليها فى سبتمبر سنة ١٨٨٣ م. وتركها فى سنة ١٩٠٧ م. وحقيق: جدير.

فودِّعْ لنا الطَّوْدَ الذى كان شامخًا (١) * وشَيِّعْ لنا البَحْرَ الذى كانَ مُزْبِدا

وزُرْهُ عَنَّا بالكَرامَةِ كلِّها * وإنْ لم يَكُنْ بالباقياتِ مُزَوَّدَا

فلم لا نَرَى الأهرامَ يا نِيلُ مُيِّدًا (٢) * وفِرْعَوْنُ عن وادِيكَ مُرْتَحِلٌ غَدا؟

كأنَّك لم تَجْزَعْ عليه ولَمْ تَكُنْ (٣) * تَرَى فى حِمَى فِرْعَوْنَ أَمْنًا ولا جَدَا

سلامٌ ولو أنا نُسِيءُ إلى الأُلَى * أَساءُوا إلينا ما مَدَدْنَا لهم يَدا

سَنُطْرِى أَيادِيكَ التى قد أَفَضْتَها (٤) * علينا فلَسْنا أُمَّةً تَجْحَدُ اليَدَا

أَمِنَّا فلَمْ يَسْلُكْ بنا الخَوْفُ مَسْلَكًا * ونِمْنا فلَمْ يَطْرُقْ لنا الدَّهْرُ مَرْقَدا

وكنتَ رَحِيمَ القَلْبِ تَحْمِى ضَعِيفَنا * وتَدْفَعُ عنَّا حادِثَ الدَّهْرِ إنْ عَدا

ولولا أَسًى فى (دِنْشَوايَ) ولَوْعَةٌ (٥) * وفاجِعَةٌ أَدْمَتْ قُلوبًا وأَكْبُدَا

ورَمْيُكَ شَعْبًا بالتَّعَصُّبِ غافِلًا (٦) * وتَصْوِيرُكَ الشَّرْقِىَّ غِرًّا مُجَرَّدَا

---

(١) الطود : الجبل العظيم . والشامخ : المرتفع . والمزبد : الذى يقذف بالزبد (بالتحريك) وهو ما يعلو الماء من الرغوة ، ولا يكون ذلك إلا عند هيجان البحر وثورانه . شبه الشاعر اللورد بالجبل العظيم فى رسوخه فى السياسة وعلو شأنه ، كما شبهه بالبحر المزبد فى ثورته وغضبه .

(٢) ميدا : مائلة مضطربة ، الواحد مائد . وشبه كرومر بفرعون ، لما كان يعرف به من الجبروت . (٣) الجدا (بفتح الجيم وتخفيف الدال) : العطاء . (٤) نطرى : نمدح . والأيادى : النعم . وأفضتها : أجزيتها . ويشير فى هذا البيت والبيتين اللذين بعده الى مآثر اللورد فى مصر ، من نشر الأمن فى ربوع البلاد ، والأخذ بناصر الضعفاء ، وإنصافهم من ظلم الأقوياء .

(٥) الأسى : الحزن . وانظر التعريف بحادثة دنشواى (فى الحاشية رقم ١ من صفحة ٢٠ من هذا الجزء) .

(٦) رميك ، أى اتهامك . والغر : الذى لا تجربة له بالأمور لقصر نظره . ومجردا ، أى غير مزوده بأسباب النهوض والجلد .

لَذُنَا أَمَنِّ يومَ الوَداعِ لأَنَّنا * نَرَى فِيكَ ذاكَ المُصْلِحَ المُتَوَدِّدَا

تَشَعَّبَتِ الآراءُ فِيكَ فقائلٌ * أَفادَ الغِنَى أَهْلَ البِلادِ وأَسْعَدا

وكانت له فى المُصْلِحِين سِياسَةٌ (١) * تَرَخَّصَ فيها تارَةً وتَشَدَّدا

رأَى العِزَّ كلَّ العِزِّ فى بَسْطَةِ الغِنَى (٢) * فحَارَبَ جَيْشَ الفَقْرِ حتّى تَبَدَّدا

وأَمْتَعَكُمْ بالنِّيلِ فهو مُبارَكٌ (٣) * على أَهْلِه، خِصْبًا وَرِيًّا ومَوْرِدا

وسَنَّ لَكُمْ حُرِّيَّةَ القَوْلِ عِنْدَ ما (٤) * رَأَى القَوْلَ فى أَسْرِ السُّكُوتِ مُقَيَّدا

وآخَرَ لَمْ يَقْصُرْ على المالِ هَمَّه (٥) * يَرَى أَنَّ ذاكَ المالَ لا يَكْفُلُ الهُدَى

فلا يَحْمَدِ الإِثْراءَ حتّى يَزِينَه (٦) * بِعِلْمٍ، وخيرُ العِلْمِ ما كانَ مُرْشِدا

يُنادِيكَ قد أَزْرَيْتَ بالعِلْمِ والحِجَا (٧) * ولَمْ تُبْقِ للتَّعْلِيمِ بالرُّدِّ مَعْهَدا

وأَنَّكَ أَخْصَبْتَ البِلادَ تَعَمُّدًا * وأَجْدَبْتَ فى مِصْرَ العُقُولَ تَعَمُّدا

قَضَيْتَ على أُمِّ اللُّغاتِ وإِنَّه (٨) * قَضاءٌ علينا أو سَبِيلٌ إلى الرَّدَى

---

(١) ترخص : لان وسهل . (٢) بسطة الغنى : سعته .

(٣) يشير بهذا البيت إلى الإصلاحات المتعلقة بالرى وتحسين النظم فى صرف مياه النيل التى أجريت فى عهد اللورد كرومر . (٤) سنّ : شرع . يشير بهذا البيت إلى حرية الصحافة فى عهد اللورد .

(٥) وآخر : معطوف على قوله السابق : « فقائل » . ويقصر ، أى يحبس . وهمه ، أى همته وعزمه . (٦) الإثراء : كثرة الأموال .

(٧) أزرى به : تهاون به ووضع من شأنه . (٨) يريد « بأم اللغات » : اللغة العربية . ويشير الى ما كان فى عهد اللورد كرومر من جعل دراسة أكثر العلوم فى المدارس باللغة الإنجليزية . والردى : الهلاك .

ووافَيْتَ والقُطْرانِ فى ظِلِّ رايَةٍ * فما زِلْتَ (بالسُّودانِ)[1] حتّى تَمَرَّدَا

فطاحَ كما طاحَتْ (مُصَوَّعُ) بَعْدَه * وضاعَتْ مَساعِينا بأَطْماعِكُمْ سُدَى[2]

حَجَبْتَ ضِياءَ الصُّحْفِ عن ظُلُماتِه * ولَمْ تَسْتَقِلْ حتّى حَجَبْتَ (المُؤَيِّدا)[3]

وأَوْدَعْتَ تَقْرِيرَ الوَداعِ مَغامِزًا * رأَيْنا جَفاءَ الطَّبْعِ فيها مُجَسَّدا[4]

غَمَزْتَ بها دِينَ النَّبِيِّ وإِنَّنا * لَنَغْضَبُ إِنْ أَغْضَبْتَ فى القَبْرِ (أَحْمَدا)

يُناديكَ أينَ النائِبُونَ بعَهْدِكُمْ * وأَيُّ بِناءٍ شامِخٍ قد تَجَدَّدا[5]

فما عَهْدُ (إسماعيلَ) والعَيْشُ ضَيِّقٌ * بأَجْدَبَ مِنْ عَهْدٍ لَكُمْ سالَ عَسْجَدا[6]

يُناديكَ وَلَّيْتَ الوِزارةَ هَيْئَةٌ * مِنَ الصُّمِّ لَمْ تَسْمَعْ لأَصْواتِنا صَدَى[7]

فلَبِّسْ بها عندَ التَّشاوُرِ مَنْ فَتًى * أَبِيٍّ إذا ما أَصْدَرَ الأَمْرَ أَوْرَدَا ؟

---

(١) وافيت ، أى حضرت إلى مصر . والقطران : مصر والسودان . ويريد « بالراية » : الراية المصرية . وتمرد : عصى وخرج عن الطاعة . يشير بهذا البيت إلى رأى السياسة البريطانية التى أشارت به على مصر من إخلاء السودان فى سنة ١٨٨٤م عند ما ثار المهدى ، حتى استفحل أمره وانتشرت دعوته ، وتألبت معظم القبائل على الحكومة ؛ وقد أعيد فتحه بعد ذلك بالجيشين المصرى والإنجليزى فى سنة ١٨٩٧م . (٢) طاح ، أى ذهب وضاع . ومصوع : ثغر معروف على البحر الأحمر ، وقد كان فى يد مصر ، ثم اضطرت إلى إخلائه أيام الحروب السودانية ، فضمته إيطاليا إلى أملاكها بموافقة انجلترا .

(٣) ظلماته ، أى ظلمات السودان ؛ ويريد ظلمات الجهل التى فيه . ويشير الشاعر إلى ما حدث فى عهد اللورد كرومر من منع بعض الصحف المصرية ، ومنها صحيفة المؤيد ، من دخول السودان خوفا من نشر الدعاية ضد الإنجليز . (٤) المغامز : المطاعن ؛ ويشير الشاعر إلى ما ذكره اللورد كرومر فى تقريره عن مصر ، حين تركها ، من طعن على المصريين . (٥) يناديك ، أى هذا الأخير الذى سبق ذكره فى قوله : « وآخر لم يقصر ... إلخ » .

(٦) العسجد : الذهب الخالص .

(٧) الصدى : ما يرجع من الصوت إذا خرج ووجد ما يحبسه ؛ ولذلك يقال له : رجع الصدى .

بِرَبِّكَ ماذا صَدَّنا ولَوَى بِنا * عن القَصْدِ إنْ كان السَّبِيلُ مُمَهَّدا؟ (١)

أشَرْتَ براي فى كِتابِكَ لم يَكُنْ * سَدِيدًا ولكنْ كان مَهْمَا مُسَدَّدا (٢)

وحاوَلْتَ إعطاءَ الغَرِيبِ مَكانَهُ * تَجُرُّ علينا الوَيْلَ والذُّلَّ سَرْمَدَا (٣)

فياوَيْلَ مِصْرٍ يومَ تَشْقَى بنَدْوَةٍ * يَبِيتُ بها ذاكَ الغَرِيبُ مُسَوَّدا (٤)

أَلَمْ يَكْفِنا أنَّا سُلِبْنا ضِياعَنا * على حِينِ لم نَبْلُغْ مِنَ الفِطْنَةِ المَدَى (٥)

وزاحَمَنا فى العَيْشِ كلُّ مُمارِسٍ * خَبِيرٍ وكُنَّا جاهِلِينَ ورُقَّدا (٦)

وما الشَّرِكاتُ السُّودُ فى كلِّ بَلْدَةٍ * سِوَى شَرَكٍ يُلْقِى به مَنْ تَصَيَّدا

فهٰذا حَدِيثُ النَّاسِ والنَّاسُ أَلْسُنٌ * إذا قال هذا، صاحَ ذاكَ مُفَنِّدا (٧)

ولو كنتُ مِنْ أَهْلِ السِّياسَةِ بَيْنَهُمْ * لَسَجَّلْتُ لى رَأْيًا وبُلِّغْتُ مَقْصِدا

ولكنَّنى فى مَعْرِضِ القَوْلِ شاعِرٌ * أُضَافُ إلى التَّارِيخِ قَوْلًا مُخَلَّدا

فيأَيُّها الشَّيْخُ الجَلِيلُ تَحِيَّةً * ويأيُّها القَصْرُ المُنِيفُ تَجَلُّدا (٨)

لئن غابَ هٰذا اللَّيْثُ عنكَ لِعِلَّةٍ * لقد لَبِثَتْ آثارُه فيكَ شُهَّدا

---

(١) لوى به عن القصد، أى صرفه عنه . يقول : إن صح ما يقال من أنك أحسنت السياسة فى مصر وولیت أمورها أكفاءها، فما بالنا نعرف عن القصد ونسير فى غير النهج .

(٢) المسدد : المصوب نحو الهدف . (٣) السرمد : الدائم . (٤) الندوة : المكان يجتمع فيه القوم للتشاور . ويشير إلى ما كان يراد من إنشاء مجلس للشورى مختلط من المصريين والأجانب . (٥) المدى : الغاية . ويشير بهذا البيت إلى ما استولى عليه الأجانب من أراضينا الزراعية بما نصبوه من أشراك الديون ذوات الفوائد المرهقة . (٦) مارس الأمر : عالجه وزاوله . يشير فى هذا البيت إلى أرباب الاقتصاد الخبيرين باكتساب المال واستثماره من الأجانب، وجهل المصريين بهذا الفن . (٧) مفندا : مكذبا مجهلا . (٨) يريد قصر الدوبارة الذى كان يسكنه السيد .

استقبال السير غورست (١)

قالها فى استقباله عند مجيئه إلى مصر معتمدا للدولة الإنجليزية خلفا للورد كرومر
يبث فيها آلام المصريين وآمالهم

[نشرت فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٠٧ م]

بَنَاتِ الشِّعْرِ بالنَّفَحاتِ جُودِى * فهٰذا يومُ شاعِرِكِ المُجِيدِ (٢)
أَطِلِّى وَاسْفِرِى ودَعِيهِ يُحْيِي * بِما تُوحِينَ أيّامَ الرَّشِيدِ (٣)
إذا ما جَلَّ قَدْرُكِ عَنْ هُبوطٍ * مُرِيهِ الى سَمائِكِ بالصُّعُودِ
وأَوْلِى ذلِكَ الفَانِي بَيَانًا * يَتِيهُ بِهِ على أَهْلِ الخُلُودِ
وحُلِّى عُقْدَةً مِنْ أَصْغَرَيْهِ * يَلِنْ لِمُتافِهِ قاسِي الحَدِيدِ (٤)
فما أَنَا واقِفٌ بِرُسُومِ دارٍ * أَسائِلُها ولا كَلِفٌ بِرُودِ (٥)
ولا مُسْتَنْزِلٌ هِبَّةً بِمَدْحٍ * ولا مُسْتَحِثٌّ سِرَّ الوُعُودِ
ولٰكِنِّى وَقَفْتُ أَنُوحُ نَوْحًا * على قَوْمِى وأَهْتِفُ بالنَّشِيدِ
وأَدْفَعُ عنهمُ بَشَبَا يَرَاعٍ * يَصُولُ بِكُلِّ قافِيَةٍ شَرُودِ (٦)

---

(١) ولد غورست سنة ١٨٦١ م ، وتوفى فى يوليه سنة ١٩١١ م . وكان مستشارا لوزارة المالية من سنة ١٨٩٨ م الى سنة ١٩٠٤ م . وفى سنة ١٩٠٧ م عين عميدا للدولة الإنجليزية مكان اللورد كرومر .

(٢) بنات الشعر : معانيه وخواطره . ويريد «بالشاعر المجيد» : نفسه . (٣) سفرت المرأة تسفر (من باب ضرب) : كشفت عن وجهها . ويريد «بالرشيد» : هارون الرشيد الخليفة العباسى المعروف ؛ وخصه بالذكر لكثرة من كان فى زمنه من الشعراء المجيدين . (٤) الاصغران : القلب واللسان .

(٥) رسوم الدار : آثارها . والكلف : المولع بالشىء الشديد الحب له . والرؤد (بالهمز وسهلت) : التأنية الحسنة . (٦) شبا اليراع : سن القلم . وقافية شرود ، أى سائرة ذائعة .

بَناتُ الشِّعْرِ إنْ هِيَ أَسْعَدَتْنى * شَكَوْتُ مِن العَمِيدِ الى العَمِيدِ (١)

ولَمْ أَجْحَدْ عَوارِفَه ولكنْ * رأَيتُ المَنَّ داعِيةَ الجُحُودِ (٢)

أَذِيقُونا الرَّجاءَ فقد ظَمِئْنا * بِعَهْدِ المُصْلِحِينَ الى الوُرُودِ (٣)

ومُنُّوا بالوُجود فقد جَهِلْنا * بِفَضْلِ وُجُودِكُمْ مَعْنَى الوُجودِ

إذا اعْلَوْلَى الصَّباحُ فلا تَلُمْنا * فإنَّ الناسَ فى جُهْدٍ جَهِيدِ (٤)

على قَدْرِ الأذَى والظُّلْمِ يَعْلُو * صِياحُ المُشْفِقِينَ مِن المَزِيدِ (٥)

جِراحٌ فى النفوسِ نَغَرْنَ نَغْرًا * وكُنَّ قد اندَمَلْنَ على صَدِيدِ (٦)

إذا ما هاجَهُنَّ أَسًى جَدِيدٌ * هَتَكْنَ سَرائرَ القَلْبِ الجَلِيدِ (٧)

الى مَنْ نَشْتَكِى عَنَتَ اللَّيالِى * الى (العَبّاس) أمْ (عَبْدِ الحَمِيدِ)؟ (٨)

ودُونَ حِماهُما قامَتْ رِجالٌ * تُرَوِّعُنا بأَصْنافِ الوَعِيدِ (٩)

---

(١) أسعدتنى : أعانتنى . وفى كتب اللغة : أن «شكا» يتعدى بنفسه لا بالحرف .

(٢) العوارف : النعم ؛ الواحدة عارفة . وفى البيت تعريض بما كان يمنّ به الورد كرر على المصريين من أنه أنهضهم وأصلح من أحوالهم .

(٣) الخطاب فى «أذيقونا» للحلبيين . وفى قوله : «بعهد المصلحين» تهكم ظاهر .

(٤) اعلولى : علا .

(٥) المشفقون : الخائفون .

(٦) نغر الجرح : سال دمه . واندمل : التأم .

(٧) السرائر : جمع سريرة ، وهى ما يسره الإنسان من أمره . والجليد : الصبور .

(٨) العنت : الأذى والمشقة .

(٩) روّعه : أخافه وأفزعه .

فما جئنا نطاولكم بجاه * يطولكم ولا ركني شديد (١)

ولا بثنا نعايركم بعلم * يبين به الغوي من الرشيد (٢)

ولكنا نطالبكم بحق * أضر بأهله نقض العهود (٣)

رمانا صاحب التقرير ظلما * بكفران العوارف والكنود (٤)

وأقسم لا يجيب لنا نداء * ولو جئنا بقرآن مجيد

وبشر أهل مصر باحتلال * يدوم عليهم أبد الأبيد (٥)

وأنبت في النفوس لكم جفاء * تعهده بمنهل الصدود (٦)

فأثمر وحشة بلغت مداها * وزكاها بأربعة شهود (٧)

قتيل الشمس أورثنا حياة * وأيقظ هاجع القوم الرقود (٨)

فليت (كرومرا) قد دام فينا * يطوق بالسلاسل كل جيد

---

(١) طاوله بجاهه : فاخره به . وطاله يطوله : علاه وارتفع عليه . ويريد « بالركن الشديد » : القوة والمنعة . والخطاب في هذا البيت وما بعده للإنجليز .

(٢) نعايركم : نأتي بما يعجزكم . (٣) يريد «بالعهود» : وعود ساسة الإنجليز بالجلاء عن مصر .

(٤) صاحب التقرير، هو اللورد كرومر، وكان قد اتهم المصريين في أحد تقاريره التي كان يرفعها لدولته بعدم الاعتراف بجميل الدولة البريطانية عليهم . والكنود : الكفر بالنعمة .

(٥) أبد الأبيد، أي أبد الدهر . (٦) المنهل : المطريشتد انصبابه .

(٧) يريد «بالشهود الأربعة» : من أعدموا في دنشواي، فهم بما لقوا شهود عدول على ظلم الصيد .

(٨) قتيل الشمس : الضابط الإنجليزي الذي مات في حادث دنشواي بضربة الشمس، واتهم الأهلون بقتله . والهاجع : النائم . يريد أن ما أصاب الناس من العذاب بسبب هذا القتيل جعلهم يهبون ويستيقظون الى المطالبة بالحرية .

ويُخِفُّ (مِصْرَ) آنًا بَعْدَ آنٍ * بِجُلُودٍ ومَقْتُولٍ شَدِيدِ

لِيَنْزِعَ هٰذه الأَكْفانَ عَنَّا * ويَبْعَثَ فى العَوالِمِ مِنْ جَدِيدِ

رَمَى (دارَ المَعارِفِ) بالرَّزايا * وجاءَ بكلِّ جَبّارٍ عَنِيدِ (١)

يُذِلُّ بِحَوْلِهِ ويَبِيدُهُ تِيهًا * ويَعْبَثُ بالنُّهَى عَبَثَ الوَلِيدِ (٢)

فَبَدَّدَ شَمْلَها وأَذالَ منها * وصاحَ بها : سَبِيلُكِ انْ تَبِيدِى (٣)

هَبُوا (دَنْلُوبَ) أَرْحَبَكُمْ جَنانًا * وأَقْدَرَكُمْ على نَزْعِ الحُقُودِ (٤)

وأَعْلَى مِنْ (غِلَادَسْتُونَ) رَأْيًا * وأَحْكَمَ مِنْ فَلاسِفَةِ (الهُنُودِ) (٥)

فإنّا لا نُطِيقُ له جِوارًا * وقد أَوْدَى بِنا أو كادَ يُودِى

مَلِلْنا طُولَ صُحْبَتِهِ وملَّتْ * سَوابِقُنا مِنَ المَشْيِ الوَئِيدِ (٦)

بِحَمْدِ اللهِ مُلْكُكُمُ كَبِيرٌ * وأَنتُمْ أَهلُ مَرْحَمَةٍ وَجُودِ

خُذُوه فَامْتِعُوا شَعْبًا سِوانا * بِهٰذا الفَضْلِ والعِلْمِ المُفِيدِ

---

(١) كل جبار عنيد : يريد مستشار المعارف إذ ذاك ، وهو المستر دانلوب وأعوانه .

(٢) الحول : القوة .

(٣) أذال منها : أذلها وأذهب عزها ودولتها . وتبيد : تهلك .

(٤) الجنان : القلب .

(٥) غلادستون ، هو وليم غلادستون . ولد بليفربول فى التاسع والعشرين من شهر سبتمبر سنة ١٨٠٩ م ، وكان من سامة الانجليز المشهورين ، وتولى وزارة المالية مرتين ، ثم كان رئيسا لمجلس النواب ، ثم رأس الوزارة الانجليزية أربع مرات . وتوفى فى ١٩ مايو سنة ١٨٩٨ م .

(٦) السوابق : الخيل التى تجىء سابقة فى الحلبة ؛ ويريد بهم أعلام الأمة ونوابغها . والوئيد من المشى : البطىء منه .

إذا استوزرت فاستوزر علينا * فتى (كالفضل) او (كابن العميد)(١)

ولا تثقل مطاه بمستشار * يجيد به عن القصد الحميد(٢)

وفي الشورى بنا داء عهيد * قد استعصى على الطب العهيد(٣)

شيوخ كلما همت بأمر * زأرتم دونه زأر الأسود

لي بيضاء يوم الرأي هانت * على حمر الملابس والخدود(٤)

أترضى أن يقال — وأنت حر — * بأنك قين هاتيك القيود؟(٥)

وهل في دار ندوتكم أناس * بهذا الموت أو هذا الجمود؟(٦)

فنح غضاضة التأميز عنا * كفانا سائغ النبل السعيد

أرى أحداثكم ملكوا علينا * (بمصر) موارد العيش الرغيد(٧)

---

(١) الفضل ، هو أبو العباس الفضل بن سهل أخو الحسن بن سهل ، أسلم على يد المأمون في سنة ١٩٠ هـ وكان وزيرا للرشيد ، وكان يلقب بذي الرياستين لأنه كان رب القلم والسيف . ومات مقتولا يوم الخميس ثاني شعبان سنة ٢٠٢ هـ . وابن العميد ، هو الوزير أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد الفارسي الأصل ، وزير ركن الدولة أبي علي بن بويه ، والد عضد الدولة المشهور في سنة ٣٢٨ هـ ، فساس دولته ووطد أركانها ، ومازال في وزارته محط رحال الشعراء والأدباء والعلماء حتى توفي سنة ٣٦٠ هـ . وخص الفضل وابن العميد لتشجيعهما العلم والأدب . (٢) المطا : الظهر ، يرغب إلى العميد البريطاني أن يجعل على وزارة المعارف أمثال الفضل وابن العميد ، على ألا يشل أيديهم بمستشار (كذوب) .

(٣) العهيد : القديم الذي أتى عليه عهد طويل . يقول إن مجلس الشورى في مصر عيوبا قديمة استعصى شفاؤها من قديم على المصلحين . (٤) يريد «بالهي البيضاء» : أعضاء مجلس الشورى والجمعية العمومية . و «بحمر الملابس والخدود» : الانجليز . وكان مما تتميز به جنودهم إذ ذاك الأكسية الحمراء .

(٥) القين : الحداد . (٦) دار ندوتكم ، يريد بها مجلس العموم البريطاني . ويشير بهذا البيت والأبيات الأربعة التي قبله إلى ضعف رأي مجلس الشورى والجمعية العمومية ، لأن الحكومة كانت حرة في قبول رأيهما أو رده . (٧) الرغيد : الواسع الطيب .

وقد ضِقْنَا بهمْ وأيسكَ ذَرْعًا * وضاقَ بحملِهمْ ذَرْعُ البَرِيدِ

أكُلُّ موظَّفٍ منكمْ قَديرٌ * على التَّشريعِ فى ظِلِّ العَميدِ؟

فضَعْ حَدًّا لهمْ وانظُرْ إلينا * إذا أنصَفْتَنا نَظَرَ الوَدُودِ

وخَبِّرْهُمْ وأنتَ بنا خَبيرٌ * بأنَّ الذُّلَّ شِنْشِنَةُ (١) العَبيدِ

وأنَّ نُفُوسَ هٰذا الخَلْقِ تأبَى * لغَيْرِ إلٰهِها ذُلَّ السُّجُودِ

ووَلِّ أُمورَنا الأخيارَ مِنَّا * تَئِبْ بهمُ الى الشَّأوِ (٢) البَعيدِ

وأشرِكْنا مع الأخيارِ مِنكمْ * اذا جَلَسُوا لإيقامِ (٣) الحُدُودِ

وأسعِدْنا بجامعةٍ وشيِّدْ * لنا مِنْ مَجْدِ دَولَتِكَ المَشيدِ

وإنْ أنعَمْتَ بالإصلاحِ فابدأْ * بتِلْكَ (٤) فإنَّها بَيْتُ القَصيدِ

وفَرِّجْ أزمةَ الأمْوالِ عنَّا * بما أُوتيتَ مِنْ رأيٍ سَديدِ

وسَلْ عنها (اليَهودَ) ولا تَسَلْنا * فقد ضاقَتْ بها حِيَلُ (اليَهودِ)

إذا ما ناحَ فى (أُسْوانَ) بالِكْ * سَمِعْتَ أنينَ شالِكْ فى (رَشيدِ)

جميعُ النَّاسِ فى البَلْوَى سَواءٌ * بأدْنَى الثَّغرِ أو أعْلَى الصَّعيدِ

تَدارَكْ أُمَّةً بالشَّرْقِ أمْسَتْ * على الأيَّامِ عاثِرَةَ (٥) الجُدُودِ

---

(١) الشنشنة : العادة والطبيعة . (٢) الشأو : الغاية . (٣) يلاحظ أنه لم يرد فى كتب اللغة « إيقام » بياء بعد الهمزة كما فى هذا البيت ، والذى ورد « إقام » بدون ياء مصدر أقام .

(٤) بتلك ، أى بالجامعة المصرية ، ولم تكن قد أنشئت إذ ذاك .

(٥) عاثرة الجدود : أى تاعسة الحظوظ .

To: www.al-mostafa.com

وأيّدَ مِصْرَ والسُّودانَ وأعْتَمْ * ثَناءَ القَوْمِ مِنْ بِيضٍ وسُودِ
وما أدْرِي وقد زَوَّدْتُ شِعْرِي * وظَنِّي فيكَ بالأَمَلِ الوَطِيدِ (١)
أجِئْتَ تَحُوطُنا وتَرُدُّ عَنّا * وتَرْفَعُنا إلى أوْجِ السُّعُودِ؟ (٢)
أمِ السِّرْدُ الذي أنْحَى عَلَيْنا * أتَى في ثَوْبِ مُعْتَمِدٍ جَدِيدِ؟ (٣)

تحيّة العام الهجرىّ

[سنة ١٣٢٧ هـ — يناير سنة ١٩٠٩ م]

أطَلَّ على الأكْوانِ والخَلْقُ تَنْظُرُ * هِلالٌ رآهُ المُسْلِمُونَ فكَبَّرُوا
تَجَلَّى لهُمْ في صُورةٍ زادَ حُسْنُها * على الدهرِ حُسْناً أنّها تَتَكَرَّرُ (٤)
وبَشَّرَهُمْ مِنْ وَجْهِهِ وجَبِينِهِ * وغُرَّتِهِ والناظِرِينَ مُبَشِّرُ
وأذْكَرَهُمْ يوماً أغَرَّ مُحَجَّلاً * به تُوِّجَ التاريخُ والسَّعْدُ مُسْفِرُ (٥)
وهاجَرَ فيهِ خيرُ داعٍ إلى الهُدَى * يَحُفُّ به مِنْ قُوَّةِ اللهِ عَسْكَرُ
يُماشِيهِ جِبْرِيلٌ وتَسْعَى وَراءَهُ * مَلائِكَةٌ تَرْعَى خُطاهُ وتَحْفِرُ (٦)

(١) الوطيد : الثابت القوى . و« بالأمل » متعلق بـ« زودت » . (٢) حاطه يحوطه : حفظه وتعهده . (٣) أنحى علينا ، أى أقبل علينا بالشدة والقسوة والعنف .
(٤) تجلى : ظهر وتكشف . (٥) يقال : يوم أغر محجل ، إذا كان مشهورا . وأصل هاتين الصفتين من النعوت المحمودة فى الخيل ؛ الأغر منها : ما كان فى وجهه بياض . والمحجل : ما كان البياض فى قوائمه . بالمسفر : المضيء المشرق . ويريد بهذا اليوم : يوم هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة . (٦) يماشيه : يمشى معه . وتحفر : تحرس .

بُشْراهُ بُرْهانٌ مِن اللهِ ساطِعٌ * هُدًى، وبُمْناه الكتابُ المُطَهَّرُ

فكانَ على أبْوابِ (مَكَّةَ) رَكْبُه * وفى (يَثْرِبَ)[1] أنوارُه تَتَفَجَّرُ

مَضَى العامُ مَيْمُونَ الشُّهورِ مُبارَكًا * تُعَدِّدُ آثارٌ له وتُسَطَّرُ

مَضَى غَيْرَ مَذْمومٍ فإنْ يَذْكُرُوا له * هَناتٍ فطَبْعُ الدَّهْرِ يَصْفُو ويَكْدُرُ[2]

وإنْ قِيلَ أَوْدَى بالأُلُوفِ أَجابَهُمْ * مُجِيبٌ: لقد أَحْيَا المَلايِينَ فانْظُرُوا[3]

إذا قِيسَ إِحْسانُ امْرِئٍ بإساءَةٍ * فأَرْبَى عليها فالإساءَةُ تُغْفَرُ[4]

ففِيهِ أَفاقَ النائمُون وقد أَتَتْ * عليهِمْ كأَهْلِ الكَهْفِ فى النَّوْمِ أَعْصُرُ[5]

وفى عالَمِ الإسْلامِ فى كلِّ بُقْعَةٍ * له أَثَرٌ باقٍ وذِكْرٌ مُعَطَّرُ

سَلُوا (التُّرْكَ) عمَّا أَدْرَكُوا فيه مِنْ مُنًى * وما بَدَّلُوا فى المَشْرِقَيْنِ وغَيَّرُوا

وإنْ لَمْ يَقُمْ إلَّا (نيازى) و(أَنْوَرٌ)[6] * فقد مَلَأَ الدُّنْيا (نيازى) و(أَنْوَرُ)

تَواصَوْا بصَبْرٍ ثمَّ سَلُوا مِنَ الجِجَا * سُيُوفًا وجَدُّوا جِدَّهُمْ وتَدَبَّرُوا[7]

---

(١) يثرب : الاسم القديم لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وشبه انبثاق الأنوار بتفجر الماء .

(٢) الهنات : الهفوات اليسيرة التى تحتمل أمثالها (٣) أودى بهم : أهلكهم .

(٤) أربى : زاد . (٥) يشير بقوله « أفاق النائمون » : إلى بعض الشعوب التى هبت فى العام المتحدث عنه تطالب بحريتها ودستورها بعد أن سكتت على الذل والاستعباد مدة طويلة ، ومن هذه الشعوب : الشعب التركى والفارسى والمصرى ، كما سيشير الشاعر إلى ذلك بعد . فشبه سكوتهم فيما مضى بنوم أهل الكهف .

(٦) نيازى وأنور : بطلان معروفان من أبطال جمعية الاتحاد التركية ، وقد أبليا بلاء حسنا فى إعادة الدستور الى أمتهما .

(٧) تواصوا ، أى التراك . والتواصى : أن يوصى القوم بعضهم بعضا . والجا : العقل . وجدوا جدهم ، أى اجتهدوا وثابروا .

فسادُوا وشادُوا للهلالِ مَنازِلاً * على هامِها سَعْدُ الكواكِبِ يُنْثَرُ (١)

تَجلَّى بها (عَبْدُ الحَمِيدِ) بوَجْهِه * على شَعْبِه والشاهُ خَزْيانُ يَنْظُرُ (٢)

سَلامٌ على (عَبْدِ الحَمِيدِ) وجَيْشِه * وأُمَّتِه ما قامَ فى الشَّرْقِ مِنْبَرُ

سَلُوا (الفُرْسَ) عَنْ ذِكْرَى أَيادِيهِ عِنْدَهُمْ * فقد كانَ فيه (الفُرْسُ) عُمْيًا فأَبْصَرُوا (٣)

جَلا لَهُمُ وَجْهَ الحياةِ فشاقَهُمْ * فبانُوا على أَبْوابِها وتَجَمْهَرُوا (٤)

يُنادُونَ أَنْ مُنِّى علينا بنَظْرَةٍ * وأَحْيِ قُلوبا أَوْشَكَتْ تَتَفَطَّرُ (٥)

كِلانَا مَشُوقٌ والسَّبِيلُ مُمَهَّدٌ * إلى الوَصْلِ لولا ذلكَ المُتَغَشْمِرُ (٦)

أَطِلِّى علينا لا تَخافِى فإنَّنا * بِسِرِّكِ أَوْفَى منه حَوْلًا وأَقْدَرُ (٧)

سَلامٌ عليكمْ أُمَّةَ (الفُرْسِ) إنَّكمْ * خَلِيقُونَ أَنْ تَحْيَوْا كِرامًا وتَفْخَرُوا (٨)

ولا أُقْرِئُ (الشاهَ) السَّلامَ فإنَّه * يُرِيقُ دِماءَ المُصْلِحِينَ ويَهْدِرُ (٩)

وفيه هَوَى (عبدُ العَزِيزِ) وعَرْشُه * وأَخْنَى عليه الدَّهْرُ والأَمْرُ مُدْبِرُ (١٠)

---

(١) الهام : الرؤوس ، الواحدة هامة . (٢) الشاه : ملك العجم . ووصفه بالخزى لأنه لم يعط أمة الدستور أسوة بالترك . (٣) أياديه ، أى أيادى العام ونعمه عليهم . (٤) استعمال « التجمهر » بمعنى التجمع ، كما فى هذا البيت استعمال شائع فى كلام عصرنا ، ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة التى بين أيدينا والصواب : « وتجمروا » بإسقاط الهاء وتشديد الميم ، أى تجمعوا . (٥) منى ، خطاب للحياة . وتتفطر : تتشقق . (٦) المتغشمر : المتنمر الظالم ، يريد شاه العجم . (٧) الحول : القوة . يقول : إننا بسبب إدراكنا سر الحياة حين نالها أقوى وأقدر من ذلك الظالم الجبار الذى يحول بيننا وبينها . (٨) خليقون : جديرون . (٩) يشير بهذا البيت إلى ما كان يصبه الشاه على زعماء النهضة وطلاب الحرية فى فارس من أنواع العذاب والقتل . (١٠) وفيه ، أى فى هذا العام المنصرم (سنة ١٣٢٦هـ — ١٩٠٨م) . وهوى : سقط . وعبد العزيز ، هو سلطان مراكش . (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء) . وأخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه .

ولا عَجَبٌ أَنْ ثُلَّ عَرْشُ مُمَلَّكٍ * قَوائِمُـه عُـودٌ ودُفٌّ ومِزْهَـرُ (١)

فأَلْقَى إلى (عبدِ الحَفِيظِ) بتاجِه * ومَبـرٌّ على أَدْراجِـه يَتَعَثَّرُ (٢)

وقامَ بِأَمْـرِ المُسْلِمِينَ مُـوَفَّقٌ * على عَهْدِهِ (مُرّاكِشُ) تَتَحَضَّرُ

وفى دَوْلَةِ (الأَفْغانِ) كانتْ شُهورُه * وأَيّامُـه بالسَّعْدِ واليُمْنِ تَزْهَرُ (٣)

أَقامَ بِهـا والعُـودُ رَيّانُ أَخْضَـرٌ * وفارَقَهـا والعُـودُ فَيْنانُ مُثْمِـرُ (٤)

وعَـوَّذَها باللهِ مِنْ شَـرِّ طامِعٍ * إذا ما رَمَى (إدْوَرْدُ) أَوْ راشَ (قَيْصَرُ) (٥)

وفيه نَمَتْ فى (الهِنْدِ) للعِلْمِ نَهْضَـةٌ * أَرَى تَحْتَهـا سِـرًّا خَفِيًّـا سَيَظْهَرُ (٦)

فَتَجْرِى الى العَلْياءِ والمَجْدِ شَـوْطَها * ويُخْصِبُ فِيهـا كُلَّ جَـدْبٍ ويَنْضُرُ (٧)

وفيـه بَدَتْ فى أُفْـقِ (جاوَةَ) لَمْعَـةٌ * أَضاءَتْ لأَهْلِيهـا السَّبِيلَ فَبَكَّرُوا (٨)

فيالَيْتَـهُ أَوْلى (الجَـزائِرَ) مِنَّـةً * تُفَـكُّ لهـا تِلْكَ القُيُـودُ وتُكْسَرُ (٩)

(١) ثل : هدم . ويشير بهذا البيت إلى طلب عبد العزيز بإعانة من الفنيين والمفتشات من مصر . (انظر الكلام على هذا فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ٦ من هذا الجزء) . (٢) تولى عبد الحفيظ سلطنة مراكش بعد خلع أخيه عبد العزيز سنة ١٩٠٨ م . وفى عهده جعلت فرنسا مدينة فاس عاصمة البلاد فى ٢١ مايو سنة ١٩١١م . وقد تنازل عبد الحفيظ لأخيه مولاى يوسف عن السلطنة فى سنة ١٩١٢م .

(٣) تزهر : تشرق وتضىء . (٤) الفينان من النبات : الحسن الطويل . ويريد خصب البلاد وكثرة الخير فيها . (٥) عوذها : حصنها وحفظها . وإدوارد ، هو إدوارد السابع ملك الإنجليز . وراش السهم يريشه : ألصق عليه الريش ، وذلك ليكون أسرع فى ذهابه نحو الغرض . وقيصر : لقب ملك روسيا . وإنما خص إدوارد وقيصر لمجاورة الهند وروسيا لبلاد الأفغان . والمعنى أن هذا العام حفظ بلاد الأفغان من طمع جيرانها الأقوياء . (٦) نمت : زادت . (٧) ينضر ، من النضرة ، وهى الحسن والبهجة . (٨) لمعة ، أى لمعة من شعاع الأمل . وبكر فلان الى الأمر : أتاه فى أول وقته وبادر إليه . (٩) يريد « بالقيود » فى هذا البيت : قيود الاستعباد والأسر التى قيدت بها فرنسا هذا الإقليم من المغرب .

وفى (تُونُس) الخَضْرَاءِ يالَيْتَه بَقِى * له أثراً فى لَوْحَةِ الدَّهْرِ يُذْكَرُ

وفيه سَرَتْ فى (مِصْرَ) رُوحٌ جَدِيدَةٌ * مُبارَكَةٌ مِنْ غَيْرَةٍ تَتَسَعَّرُ

خَبَتْ زَمَنًا حتّى تَوَهَّمْتُ أنَّها * تَجافَتْ عن الإيراءِ لولا (كُرُومَرُ)(١)

تَصَدَّى فأَوْراها وهَيْهات أنْ يَرَى * سَبِيلًا إلى إخْمادِها وهى تَزْفِرُ(٢)

مَضَى زَمَنُ التَّنْوِيمِ يانِيلُ وانْقَضَى * ففِى (مِصْرَ) أيْقاظٌ على (مِصْرَ) تَسْهَرُ

وقد كان "مُرْفِينُ" الدَّهاءِ مُحَذِّرًا * فأَصْبَحَ فى أعْصابِنا يَتَحَذَّرُ(٣)

شَعَرْنا بحاجاتِ الحَياةِ فإنْ وَنَتْ * عَزائِمُنا عَنْ نَيْلِها كيفَ نُعْذَرُ؟

شَعَرْنا وأَحْسَسْنا وباتَتْ نُفُوسُنا * من العَيْشِ إلّا فى ذَرَا العِزِّ تَسْخَرُ(٤)

إذا اللهُ أَحْيَا أُمَّةً لَنْ يَرُدَّها * إلى المَوْتِ قَهّارٌ ولا مُتَجَبِّرُ

رِجالَ الغَدِ المأمولِ إنّا بحاجَةٍ * إلى قادَةٍ تَبْنِى وشَعْبٍ يُعَمِّرُ

رِجالَ الغَدِ المَأمولِ إنّا بحاجَةٍ * إلى عالِمٍ يَدْعُو وداعٍ يُذَكِّرُ

رِجالَ الغَدِ المَأمولِ إنّا بحاجَةٍ * إلى عالِمٍ يَدْرِى وعِلْمٍ يُقَرِّرُ

رِجالَ الغَدِ المَأمولِ إنّا بحاجَةٍ * إلى حِكْمَةٍ تُمْلَى وكَفٍّ تُحَرِّرُ

---

(١) خبت : سكنت وخمدت . وتجافت : تباعدت . و إيراء النار : إشعالها .

(٢) تصدى : تعرض . وتزفر ، أى يسمع صوت توقدها . يقول : إن اللورد كرومر عميد الدولة الإنجليزية تصدى لنار الوطنية فى قلوب المصريين فأشعلها بعد خمودها بما صبه عليهم من المظالم والمحن .

(٣) المرفين : مخدر معروف ؛ والمراد به هنا خداع السياسة . (٤) ذرا العز (بفتح الذال) : كنفه وظله .

رِجالَ الغَـدِ المَأمُولِ إنّا بحاجَـةٍ * إليكمْ فسُدُّوا النَّقصَ فينا وثَمِّرُوا(١)

رِجالَ الغَدِ المأمولِ لا تَتْرُكُوا غَدًا * يَمُرُّ مُرُورَ الأَمسِ والعَيشُ أغبَرُ

رِجالَ الغَـدِ المَأمُولِ إنّ بِلادَكُمْ * تُناشِـدُكُمْ باللهِ أنْ تتذكّرُوا

عليكمْ حُقـوقٌ لِلبِـلادِ أجَلُّها * تَعَهُّدُ رَوضِ العِلْمِ فالرَّوضُ مُقفِرُ

قُصارَى مُنَى أوطانِكُمْ أنْ تَرَى لَكُمْ * يدًا تَبْنِي مَجْـدًا ورَأْسًا يُفَكِّرُ(٢)

فكُونُوا رِجالًا عامِلِينَ أعِزَّةً * وصُـونُوا حِمَى أوْطانِكُمْ وتَحَـرَّرُوا

ويا طالِبِي الدُّسْتُورِ لا تَسْكُنُوا ولَا * تَبِيتُـوا على يَأْسٍ ولا تَتَضَجَّرُوا

أعِـدُّوا لَه صَـدْرَ المَكانِ فإنّنِي * أرَاهُ عـلى أبْوابِكُمْ يَتَخَطَّـرُ

فـلَا تَسْطِقُـوا إلّا صَـوابًا فإنّنِي * أخافُ عليكمْ أنْ يُقـالَ تَهَوَّرُوا(٣)

فـما ضاعَ حَقٌّ لم يَنَمْ عنـه أهْـلُهُ * ولا نالَهُ فِي العـالَمِينَ مُقَصِّـرُ

لقـد ظَفِـرَ الأتْرَاكُ عَدْلًا بِسُـؤْلِهِمْ * ونَحْنُ على الآثارِ لا شَكَّ نَظْفَرُ

هُمُ لهـمُ العـامُ القَـدِيمُ مُقَـدَّرٌ * ونَحْنُ لنـا العـامُ الجَـدِيدُ مُقَـدَّرُ

ثِقُـوا بالأَمِـيرِ القـائِمِ اليـومَ إنّه * بِكُمْ وبِمـا تَرْجُونَ أدْرَى وأخْبَرُ(٤)

فلا زَالَ مَحْرُوسَ الأَرِيكَةِ جالِسًا * على عَرْشِ (وادِي النِّيلِ) يَنْهَى ويَأْمُرُ

---

(١) ثمر للأمر : استمد له .

(٢) قصارى منى أوطانكم ، أى غاية مناها ؛ يقال : قصاراك أن تفعل كذا ، أى بجهدك وغايتك وآخر أمرك .

(٣) تهوروا : وقعوا فى المكروه بقلة مبالاة ؛ والمراد هنا التكلم فى شئون السياسة بما تواخذهم به القوانين .

(٤) الأمير ، هو عباس حلمى الثانى خديوى مصر السابق .

الانقلاب العثمانى

قالها فى ثورة الأتراك التى انتهت بخلع السلطان عبد الحميد[1] وتولية السلطان محمد الخامس

[نشرت فى ١٢ مايو سنة ١٩٠٩ م]

لا رَعَى اللهُ عَهْدَها مِنْ جُدُودِ * كيفَ أمْسَيْتَ يابْنَ (عَبْدِ المَجِيدِ)[2]

مُشْبِعَ الخُوتِ مِنْ لُحُومِ البَرَايَا * ومُجِيعَ الجُنُودِ تحْتَ البُنُودِ[3]

كنتُ أبْكِى بالأمْسِ مِنْكَ فمالِى * بِتُّ أبكِى عليكَ (عبدَ الحميدِ)؟

فَرِحَ المُسْلِمُونَ قبلَ النَّصارَى * فيكَ قبلَ الدُّرُوزِ قبلَ اليَهودِ

شَمِتُوا كُلُّهُمْ وليس مِنَ الهِمَّةِ أنْ يَشْمَتَ الوَرَى فى طَرِيدِ

أنتَ (عبدُ الحميدِ) والتاجُ مَعْقُو * دٌ و(عبدُ الحميدِ) رَهْنَ القُيُودِ

خالِدٌ أنتَ رَغْمَ أنْفِ اللَّيالِى * فى كِبارِ الرجالِ أهْلِ الخُلُودِ

لكَ فى الذِّهْنِ — والكمالُ مُحالٌ — * صَفَحاتٌ ما بينَ بِيضٍ وسُودِ

حاوَلُوا طَمْسَ ما صَنَعْتَ وودُّوا * لو يُطِيقُونَ طَمْسَ خَطِّ الحَدِيدِ[4]

---

(١) ولد السلطان عبد الحميد فى ٢١ سبتمبر سنة ١٨٤٢ م ، وولى الملك فى أغسطس سنة ١٨٧٦ م ، وخلع فى ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٩ م ، وتوفى فى ١٠ فبراير سنة ١٩١٨ م . (٢) الجدود : الحظوظ ؛ الواحد جد (بفتح الجيم وتشديد الدال) . (٣) يشير بقوله « مشبع الحوت » : الى من كان يأمر السلطان عبد الحميد بإغراقهم فى مضيق البسفور . والبنود : الأعلام الكبيرة ؛ الواحد بند ، وهو فارسى معرب . ويشير بقوله « ومجيع الجنود » : الى ما كان يقاسيه الجيش التركى من شظف العيش وضيق ذات اليد . (٤) يريد الخط الحديدى الحجازى بين دمشق والمدينة الذى أنشأه السلطان عبد الحميد ، وبدئ العمل فيه سنة ١٩٠٠ م ، واحتفل بافتتاحه فى سنة ١٩٠٨ م .

ذاكَ (عَبْـدَ الحميـدِ) ذُخْرُكَ عنـد اللهِ باقٍ إنْ ضـاعَ عِنْـدَ العَبيـدِ

أَكْرِمُـوهُ وراقِبُـوا اللهَ فى الشَّـيْـ * ـخِ ولا تُرْهِقُـوهُ بالتَّهْـديدِ (١)

لا تَخافُوا أَذاهُ فالشَّـيْخُ هـاوٍ * لَيسَ فيـه بَقِيَّـةٌ للصُّعـودِ

وَلِيَ الأَمْرَ ثُلْثَ قَـرْنٍ يُنـادى * بآسمِـه كلُّ مُسْلِمٍ فى الوُجـودِ

كلَّمـا قامَتِ الصَّـلاةُ دَعَى الدا * عِى (لعَبْـدِ الحَميـدِ) بالتَّأْبِيـدِ (٢)

فاسمُ هٰـذا الأَسِـيرِ قـد كان مَقْرُو * نًا بِذِكْـرِ الرَّسُـولِ والتَّوْحِيـدِ

بِتُّ أَخْشَى عليكُمُ أَنْ يَقُـولُوا * إنْ أَثِرْتُمْ مِنْ كامِنـاتِ الحُقـودِ (٣)

كانَ (عَبْـدُ الحَمِيـدِ) بالأَمْسِ فَرْدًا * فَغَـدًا اليـومَ أَلْفُ (عبدِ الحَمِيـدِ) (٤)

يا أَسِـيرًا فى (سَلْنِتِ هِيلِينَ) رَحِّبْ * بأَسِـيرٍ فى (سالُنِيـكَ) جَـدِيدِ (٥)

قُلْ لَهُ كَيْفَ زالَ مُلْكُكَ لَمْ يَعْـ * ـصِمْكَ إعْـدادُ عُـدَّةٍ أَوْ عَـدِيدِ (٦)

لَمْ تَصُنْكَ الجُنُـودُ تَفْـدِيكَ بالأَرْ * واحِ والمـالِ يا غَرامَ الجُنُـودِ

قُلْ له كَيْفَ كُنْتَ؟ كيفَ امتَلَكْتَ الـ * ـأَرْضَ؟ كيفَ انْفَرَدْتَ بالتَّمْجِيدِ؟

---

(١) أرهقه : أثقل عليه وظلمه . (٢) يريد «بالصلاة» : صلاة الجمعة . ويريد «بالداعى» : الخطيب . (٣) أثاره إثارة : هيجه . وكامنات الحقود : ما خفى منها . (٤) يقول لمن ولى الأمر من رجال تركيا : إن أثرتم دفائن الصدور ، وأسأتم التصرف فى الأمور ، تضاعف الظلم ، فبدل أن كان يستبد بالأمر ويظلم الرعية فرد واحد هو عبد الحميد ، يصبح مستبدا بأمركم ألف عبد الحميد .

(٥) يريد «بالأسير فى سلنت هيلين» : نابليون بونابرت امبراطور فرنسا وقائدها المعروف ، وقد أسر فى جزيرة سانت هيلانة ، وظل بها أسيرا حتى مات ، ونقلت رفاته بعد مدة إلى فرنسا . وسالونيك : مدينة معروفة بمقدونيا ، وكانت من أملاك الدولة العثمانية ، وهى الآن من أملاك اليونان ، وقد احتفل فيها السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه . (٦) لم يعصمك : لم يحفظك . والعدة : السلاح . والعديد : الكثرة .

ثَلَمْتَ العُرُوشَ عَرْشًا فَعَرْشًا * وصَبَغْتَ الصَّعِيدَ بَعْدَ الصَّعِيدِ (١)

كُلَّمَا نِلْتَ غايَةً لَمْ تَنَلْها * هِمَّةُ الدَّهْرِ قلتَ : هَلْ مِنْ مَزِيدِ؟

ضاقَتِ الأرضُ عَنْ مَداكَ فأَرْسَلْـ * ـتَ بطَرْفٍ إلى السَّماءِ عَتِيدِ (٢)

قُلْ لَه : جَلَّ مَنْ له المُلْكُ لا مُلْـ * ـكَ لغَيْرِ المُهَيْمِنِ المَعْبُودِ

أنتَ مَهْمَا شَقِيتَ أَرْفَهُ حالًا * مِنْ أَسِيرِ الجَزِيرةِ المَكْمُودِ (٣)

وأَسِيرُ الأَقْفاصِ قد كان أَشْقَى * لو سَأَلْتَ الأَسْفارَ عَنْ (بايَزِيدِ) (٤)

كان (عبدُ الحميد) فى القَصْرِ أَشْقَى * منه فى الأَسْرِ والبَلاءِ الشَّدِيدِ

كان لا يَعْرِفُ القَرارَ بِلَيْلٍ * لا ولا يَسْتَلِذُّ طَعْمَ الهُجُودِ (٥)

حَذِرًا يَرْهَبُ الظَّلامَ ويَخْشَى * خَطْرَةَ الرِّيحِ أو بُكاءَ الوَلِيدِ

نَفَقٌ تحتَ طابِقِ الأَرْضِ أَخْفَى * فى تَدَجِّيهِ مِنْ ضَمِيرِ الكَنُودِ (٦)

---

(١) ثلمت العروش ، أى هدمت ملكها . والصعيد : التراب . يريد أنه صبغه بدماء أعدائه .

(٢) المدى : الغاية . والعتيد : المعد المهيأ . (٣) أرفه حالا : أحسنها . وأسير الجزيرة : نابليون بونابرت . والجزيرة : سانت هيلانة السابق ذكرها . والمكمود : المحزون . (٤) الأسفار : الكتب ، الواحد : سفر (بكسر فسكون) . وبايزيد ، هو بايزيد الأول ابن السلطان مراد الأول ، وهو السلطان الرابع من سلاطين آل عثمان ، ولد عام ٧٦١ هـ . وجلس على كرسى الملك بعد وفاة أبيه عام ٧٩١ هـ . وتوفى فى سنة ٨٠٥ هـ . ويشير الشاعر بهذا البيت الى وقوع بايزيد فى أسر تيمورلنك ملك التتار فى موقعة أنقرة سنة ٨٠٥ هـ ، وحبسه إياه فى قفص حتى مات كمدا بعد حبسه بثمانية أشهر .

(٥) الهجود : النوم . (٦) النفق (بالتحريك) : مرب فى الأرض له مخرج إلى مكان . ويشير إلى المواضع الخفية التى كان يختبئ فيها السلطان عبد الحميد حذرا من أعدائه . وتدجيه : إظلامه . والكنود : الكفور . شبه ظلام المسارب التى كان يختبئ فيها عبد الحميد بظلام قلب الكفور لعدم نفوذ ضوء الحق اليه .

يُعْجِزُ الوَهْمَ عن تَلَمُّسِ ذاكَ الـ * ـبابِ بابِ الخَلِيفةِ المَنْكُودِ (١)

أَصَحِيحٌ ما قيلَ عَنْكَ وحَقٌّ * ما سَمِعْنا مِن الرُّواةِ الشُّهُودِ

أَنَّ (عبدَ الحَمِيدِ) قد هَدَمَ الشَّرْ * ـعَ وأَرْبَى على فِعالِ (الوَلِيدِ)؟ (٢)

إنْ بَرِيئًا وإنْ أَثِيمًا سَتُجْزَى * يومَ تُجْزَى أَمامَ رَبٍّ شَهِيدِ

أَصَحِيحٌ بَكَيْتَ لَمَّا أَتَى الوَفْـ * ـدُ ونابَتْكَ رِعْشَةُ الرِّعْدِيدِ؟ (٣)

ونَسِيتَ الآباءَ والمَجْدَ والسُّؤْ * دُدَ والعِزَّ يا كَرِيمَ الجُدُودِ؟ (٤)

ما عَهِدْنَا المُلُوكَ تَبْكِي ولَكِنْ * عَلَّها نَزْوَةُ الفُؤادِ الجَلِيدِ (٥)

عَلَّها دَمْعَةُ الوَداعِ لِذاكَ الـ * ـمُلْكِ أَوْ ذِكْرَةٌ لِتِلْكَ العُهُودِ

غَسَلَ الدَّمْعُ عنكَ حَوْبَةَ ماضِيـ * ـكَ ووَقَّاكَ شَرَّ يَوْمِ الوَعِيدِ (٦)

شَفَعَ الدَّمْعُ فِيكَ عِنْدَ البَرايا * لَيْسَ ذاكَ الشَّفِيعُ بالمَرْدُودِ

دَمْعُكَ اليومَ مِثْلُ أَمْرِكَ بالأَمْـ * ـسِ مُطاعٌ فى سَيِّدٍ ومَسُودِ (٧)

كانَ (عبدُ العَزِيزِ) أَجْمَلَ أَمْرًا * مِنكَ فى يومِ خَلْعِهِ المَشْهُودِ (٨)

---

(١) يقول : أن هذا النفق خفى وضلت سبيله على طالبه ، حتى إنه ليعجز الوهم عن تعرف الطريق إلى بابه .

(٢) أربى : زاد . والوليد ، هو ابن يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموى المرواني المشهور بالفسق وشرب الخمر وتهاونه بالدين . (٣) يريد الوفد المبعوث بخلعه . والرعديد : الجبان . (٤) السؤدد : السيادة والرفعة . (٥) الجليد : المتجلد الصابر . (٦) الحوبة (بفتح الحاء) : الخطيئة .

(٧) يقول : إن دمعك يوم الخلع قد بلغ من الأثر فى رعيتك ما ردهم عن الانتقام منك ، فكأنه أمر من أوامرك المطاعة يوم كنت على العرش . (٨) عبد العزيز ، هو أحد سلاطين آل عثمان ، وهو الثانى والثلاثون منهم ، وهو أبن السلطان محمود الثانى . ولد عام ١٢٤٥ هـ ، وتولى الخلافة فى سنة ١٢٧٧ هـ ، وخلع فى سنة ١٢٩٣ هـ ، وتوفى فى السنة نفسها . وهو الذى زار مصر فى عهد المغفور له اسماعيل باشا الخديوى ، وسمى باسمه شارع عبد العزيز بالقاهرة .

خَافَ مَأْثُورَ قَوْلِهِ فَتَعَالَى * عَنْ صَغَارٍ وماتَ مَوْتَ الأُسُودِ (١)

ضَمَّ مِقْراضَهُ اليه ونادَى * دُونَ ذُلِّ الحياةِ قَطْعُ الوَرِيدِ (٢)

حَيِّ عَهْدَ الرَّشادِ يا شَرْقُ وابْلُغْ * ما تَمَنَّيْتَ مِنْ زَمانٍ بَعِيدِ (٣)

قد تَوَلَّى (مُحَمَّدُ الخامسُ) المُلْ * كَ فأَعْظِمْ بتاجِهِ المَعْقُودِ

وتَجَلَّى فى مِهْرَجانٍ تَجَلَّى * سَيْفُ (عُثْمانَ) فيه بالتَّقْلِيدِ (٤)

وقَفَ الدهرُ خاشِعًا إذ رَأَى السَّيْـ * ـفَيْنِ فى قَبْضَةِ العَزِيزِ المَجِيدِ (٥)

طَأْطِئِي للجَلالِ يا أُمَمَ الأَرْ * ضِ سُجُودًا، هٰذا مَقامُ السُّجُودِ (٦)

عَلِمَ اللهُ أَنَّ عَهْدَ (رَشادٍ) * خَيْرُ فَأْلٍ يَرُدُّ عَهْدَ (الرَّشِيدِ) (٧)

---

(١) الصغار : الذل . يقول : إن هذا السلطان قد خاف فى يوم خلعه أن يأخذ الناس عليه كلمة فيها ضعف ومذلة .

(٢) المقراض : المقص .

(٣) يريد « بالرشاد » : السلطان محمد رشاد الخامس ، وقد تولى الملك فى سنة ١٣٢٧ هـ — سنة ١٩٠٩ م — بعد خلع السلطان عبد الحميد .

(٤) المهرجان : عيد الفرس ، ويطلق على كل عيد . وعثمان ، هو ابن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية التى تنسب اليه . (انظر التعريف به فى الحاشية رقم ١ من صفحة ١٧ من هذا الجزء) .

(٥) يريد « بالسيفين » : سيف عثمان مؤسس الدولة ، وسيف الخليفة الجالس على العرش .

(٦) طأطأ رأسه : خفضه .

(٧) يريد « بالرشيد » : الخليفة العباسى هارون الرشيد الذى بلغت الأمة الإسلامية فى أيامه من الرقى أقصاه .

عيد الدستور العثمانى

انشدها فى الحفل الذى أقيم فى حديقة الأزبكية فى مساء الجمعة ٢٣ يوليه سنة ١٩٠٩ م

أَجِلْ هٰذِهِ أَعْلَامُهُ وَمَوَاكِبُهْ * هَنِيئاً لَهُمْ فَلْيَسْحَبِ الذَّيْلَ صَاحِبُهْ (١)

هَنِيئاً لَهُمْ فَالكَوْنُ فِى يَوْمِ عِيدِهِمْ * مَشَارِقُهُ وُضَّاءَةٌ وَمَغَارِبُهْ (٢)

رَعَى اللهُ شَعْباً جَمْعَ العَدْلُ شَمْلَهُ * وَتَمَّتْ عَلَى عَهْدِ الرَّشَادِ رَغَائِبُهْ (٣)

تَحَالَفَ فِى ظِلِّ الهِلَالِ إِمَامُهُ * وَحَاخَامُهُ ـ بَعْدَ الخِلَافِ ـ وَرَاهِبُهْ (٤)

خُذُوا بِيَدِ الإِصْلَاحِ وَالأَمْرُ مُقْبِلٌ * فَإِنِّى أَرَى الإِصْلَاحَ قَدْ طَرَّ شَارِبُهْ (٥)

وَرُدُّوا عَلَى المُلْكِ الشَّبَابَ الَّذِى ذَوَى * فَإِنِّى رَأَيْتُ المُلْكَ شَابَتْ ذَوَائِبُهْ (٦)

فَمَنْ يَطْلُبِ الدُّسْتُورَ بِالسُّوءِ بَعْدَ مَا * حَمَتْهُ يَدُ (الفَارُوقِ) فَاللهُ طَالِبُهْ

إِذَا (شَوْكَتُ الفَارُوقُ) قَامَ مُنَادِياً * إِلَى الحَقِّ لَبَّاهُ (نِيَازِى) وَصَاحِبُهْ (٧)

---

(١) أجل : نعم . وأعلامه : أى أعلام العيد . ولهم : للاتراك . وسحب الذيل : كناية عن التيه والفخر . (٢) وضاءة (بضم الواو وتشديد الضاد) ، أى ذات حسن وبهجة ، من الوضاءة (بفتح الواو وتخفيف الضاد) (٣) الرغائب : جمع رغيبة ، وهى ما يرغب فيه . (٤) الهلال : شعار الدولة العثمانية . ويريد «بالإمام والحاخام والراهب» : اجتماع المسلمين واليهود والمسيحيين تحت تلك الراية . (٥) طر شاربه : نبت وطلع ، وذلك فى أول عهد الشباب . ويريد بهذه العبارة : أن وقت الإصلاح قد حان . (٦) ذوى : ذبل . والذوائب : الضفائر الواحدة ذؤابة . وشيب الذوائب ، كناية عن الضعف والانحلال . (٧) شوكت ونيازى : بطلان من أبطال جمعية الاتحاد والترقى التركية . ويريد « بالصاحب » : أنور باشا القائد التركى المعروف . وكان هؤلاء الثلاثة بلاء حسن فى الانقلاب العثمانى المعروف ، وخلع السلطان عبد الحميد ، وإعادة الدستور الى الأمة التركية .

ثَلاثَةُ آسادٍ يُجانِبُها الرَّدَى * وإنْ هِيَ لاقاها الرَّدَى لا تُجانِبُهْ (١)

يُصارِعُها صَرْفُ المَنُونِ فتَتَّقِي * مَخالِبَها فيه وتَنْبُو مَخالِبُهْ (٢)

رَوَتْ قولَ (بَشّارٍ) فثارَتْ وأَقْسَمَتْ * وقامت إلى (عَبْدِ الحَمِيدِ) تُحاسِبُهْ:

(إذا المَلِكُ الجَبّارُ صَعَّرَ خَدَّه * مَشَيْنا إليه بالسُّيُوفِ نُعاتِبُهْ) (٣)

وسارَ على أَعْقابِها كلُّ سابِحٍ * على مَتْنِه بُرْجٌ مَشِيدٌ يُلاعِبُهْ (٤)

يَصِيحُ به: لارِيٌّ أَوْ نَبْلُغَ المُنَى * ولا شِبَعٌ أو يَرْجِعَ الحقَّ غاصِبُهْ

هُنالِكَ فانْهَلْ واتَّخِذْ ثَمَّ مَرْبَطًا * (بِيَلْدِزَ) واحْمِدْ في الوَغَى مَنْ تُصاحِبُهْ (٥)

رِجالٌ مِنَ الإيمانِ مَلّاءُ نُفُوسُهُمْ * وجَيْشٌ مِنَ الأَتْرالِكِ ظَمْآى قَواضِبُهْ (٦)

صَوالِجُه سُمْرُ القَنا، وكُراتُه * رُءُوسُ الأَعادِي، والحُصُونُ مَلاعِبُهْ (٧)

---

(١) الردى: الهلاك. (٢) المنون: الموت. وتنبو: تكل وترتد.

(٣) صعر خده: أماله عند النظر إلى الناس تهاونا بهم وكبرا. ويريد بقوله «نعاتبه»: نهدده بالسيوف ونذره بالقتل. وفي استعمال العتاب بهذا المعنى تهكم ظاهر. وهذا البيت من قصيدة لبشار بن برد يمدح بها عمر بن هبيرة. (٤) يريد «بالسابح»: الفرس الشديد الجرى. والمتن: الظهر. ويريد «بالبرج»: الفارس الذي يشبه البرج في ضخامته. (٥) انهل: اشرب، من النهل (بالتحريك)، وهو السقية الأولى. ويلدز: قصر الخلافة بالقسطنطينية. والوغى: الحرب. يصف الفارس فرسه بأنه سيبلغ ما يريد من النصر والظفر، وأنه سيستبيح من حمى القصر ما كان ممتنعا، وهناك يحمد راكبه على صدق وعده. (٦) القواضب: السيوف القواطع. ومعنى قوله «ظمأى قواضبه»: أن سيوفه عطشى إلى دماء الأعداء. (٧) الصوالج: العصيّ المعوجة الأطراف التي يلعبون بها الكرة؛ الواحد صولجان، فارسي معرب. والقنا: الرماح؛ الواحدة قناة. وقد شبه هذا الجيش في حربه بمن يلعبون الكرة لشوقه إلى الحرب، وقلة مبالاته بالموت فيها، بجعل الرماح صوالجه، ورءوس الأعداء كراته، والحصون مواضع اللعب.

إذا ثارَ دُكَّتْ أَجْبُلٌ وتَخَشَّعَتْ * بِحارٌ وأَمْضَى اللهُ ما هو كاتِبُهْ (١)

وثُلَّتْ عُرُوشٌ واستَقَرَّتْ ممالِكٌ * ولو أَنَّ ذَا القَرْنَيْنِ فيها يُناصِبُهْ (٢)

فمَنْ لَمْ يُشاهِدْ (يلدِزًا) بَعدَ رَبِّها * وقد زالَ عنه المُلْكُ وانْدَكَّ جانِبُهْ (٣)

وأَسْلَمَهُ أَحْبابُهُ لِقُضاتِهِ * وفَرَّ ولَمْ يَخْشَ المَعَرَّةَ كاتِبُهْ (٤)

وقَلَّمَتِ الأَقْدارُ أَظْفارَ بَطْشِهِ * ودَلَّ على ما تَجْهَلُ الجِنُّ حاجِبُهْ (٥)

فما شَهِدَ الدُّنْيا تَزُولُ ولا رَأَى * بَلاءَ قَضاءِ اللهِ فِيمَنْ يُحارِبُهْ (٦)

أَبِيحَ حِماها وانْطَوَى مَجْدُ رَبِّها * وقامَتْ على البَيْتِ (الحَمِيدِي) نَوادِبُهْ (٧)

ولَمْ يُغْنِ عن (عَبْدِ الحَمِيدِ) دَهاؤُهُ * ولا عَصَمَتْ (عبدَ الحَمِيدِ) تَجارِبُهْ (٨)

ولَمْ يَحْمِهِ حِصْنٌ ولَمْ تَرْمِ دُونَهُ * دَنانِيرُهُ والأَمْرُ بالأَمْرِ حازِبُهْ (٩)

ولَمْ يُخْفِهِ عَنْ أَعْيُنِ الحَقِّ مُخْدَعٌ * ولا نَفَقٌ فى الأَرْضِ جَسَّ مَسارِبُهْ (١٠)

---

(١) دكت : تهدمت . وما هو كاتبه ، أى ما هو مقدره من النصر والظفر لهذا الجيش .

(٢) ثلت : هدمت . وذو القرنين : ملك معروف باتساع الملك وكثرة الفتوحات . ويناصبه : يعاديه . (٣) ربها : صاحبها ، وهو عبد الحميد .

(٤) يريد «بكاتبه» : عزت العابد باشا . (٥) يقال : هو مقلم الأظفار ، اذا كان أعزل بغير سلاح . ويريد « بما تجهل الجن » : السراديب والأنفاق التى كان يختبئ فيها السلطان عبد الحميد من أعدائه . (٦) فما : جوابه « من » فى قوله السابق : « فمن لم يشاهد ... الخ » .

(٧) أبيح حماها ، أى صارت بلدة مفتحة النواحى لكل داخل مهما قل شأنه .

(٨) عصمت : حفظت . (٩) لم ترم دونه دنانيره ، أى أن أمواله لم تدفع عنه أعداءه . فشبه المال يحفظ صاحبه من أعدائه بمن يرمى السهام دفاعا عمن يحتمى به . وحزبه الأمر : نابه وأشتد عليه وضغطه . (١٠) يشير فى هذا البيت الى المخابئ والأنفاق التى كان قد أعدها عبد الحميد تحت الأرض ليختبئ فيها من أعدائه .

أقامَ عليه مَهْلَكًا عندَ مَهْلَكٍ * يَمُرُّ به رَوْحُ الصَّبا فيُوائِبُهْ (١)

تحامَاهُ حتى الوَهْمُ خَوْفَ اغتيالِه * فلو مَسَّه طَيْفٌ لدارَتْ لَوالِبُهْ

وأَسْرَفَ فى حُبِّ الحياةِ فخاطَها * بسُورٍ من الأهْوالِ لم يَنْجُ راكِبُهْ

ففى كلِّ قُفْلٍ للمَنِيَّةِ مَكْمَنٌ * وفى كلِّ مِفْتاحٍ قَضاءٌ يُراقِبُهْ (٢)

وفى كلِّ رُكنٍ صُورَةٌ لو تَكَلَّمَتْ * لَما شَكَّ فى (عَبْدِ الحَمِيدِ) مُخاطِبُهْ

تَماثِيلُ أيهامٍ أُتِمَّتْ وأُقْعِدَتْ * تَرَاءَى بها أعْطافُه ومَناكِبُهْ (٣)

تُمَثِّلُه فى نَوْمِه وجُلُوسِه * وتَخْدَعُ فيه الموتَ حينَ يُقارِبُهْ

أقامَ عليه أَلْفَ مَوْتٍ مُحَجَّبٍ * لِيَغْلِبَ مَوْتًا واحدًا عَزَّ غالِبُهْ

سَلُوهُ أَأَغْنَتْ عنه فى يومِ خَلْعِه * عَجائِبُه ؟ أو أَحْرَزَتْه غَرائِبُهْ ؟ (٤)

وقد نَزَلَ المِقْدارُ بالأمرِ صادِعًا * فضاقَتْ على شَيْخِ المُلُوكِ مَذاهِبُهْ (٥)

وأَخْرَجَه مِنْ (يَلْدِزٍ) رَبُّ (يَلْدِزٍ) * وجَرَّدَه مِنْ سَيْفِ (عُثْمانَ) واهِبُهْ

وأَصْبَحَ فى مَنْفاهُ والجَيْشُ دُونَه * يُغالِبُ ذِكْرَى مُلْكِه وتُغالِبُهْ (٦)

---

(١) الروح : الريح - يقول : إن عبد الحميد قد بالغ فى المحافظة على نفسه حتى أقام حوله من أسباب الهلاك لطالبه ما لو مرت به ريح الصبا لوثب عليها ظنا منه أنها من أعداء السلطان .

(٢) يشير بهذا البيت الى ما كان يرى من العجائب التى كان يتخذها السلطان عبد الحميد فى الحذر على نفسه من أعدائه ، حتى إنه قد صنعت لخابيه وخزائن أمواله أقفال إذا حاول غيره فتحها أصابه منها ما يقتله .

(٣) تراءى ، أى تتراءى . والأعطاف : الجوانب . (٤) أحرزته : حفظته .

(٥) المقدار : القدر . وصدع بالأمر : جاهر به مصرحا . (٦) والجيش دونه ، أى واقف دونه يمنعه من الفرار .

يُنادِيه صَوْتُ الحَقِّ : ذُقْ ما أَذَقْتَهُمْ * فكُلُّ امرِئٍ رَهْنٌ بِما هُوَ كاسِبُهْ (١)

هُمُ مَنَحوكَ اليومَ ما أنتَ مُشْتَهٍ * فسُرَّ لهمْ بالأمسِ ما أنتَ سالِبُهْ (٢)

ودَعْ عَنْكَ ما أَمَّلْتَ إنْ كنتَ حازِمًا * فلَمْ يَبْقَ لِلآمالِ فَضْلٌ تُجاذِبُهْ (٣)

مَضَى عَهْدُ الاستِبْدادِ وانْدَكَّ صَرْحُه * ووَلَّتْ أَفاعِيهِ وماتَتْ عَقارِبُهْ (٤)

لَكَ اللهُ يا (تَمُّوزُ) إنَّكَ بَلْسَمٌ * بِجَرْحَى الأَسَى والدَّهْرُ تَعْدُو نَوائِبُهْ (٥)

فكَمْ رُعْتَ جَبَّارًا وأَرْهَفْتَ ظالِمًا * وأَنْصَفْتَ مَظْلُومًا تَوالَتْ مَصائِبُهْ (٦)

فَدَيْناكَ مِنْ شَهْرٍ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ * أَوائِلُهُ مَيْمُونَةٌ وعَواقِبُهْ (٧)

تُقابِلُه الأَعْيادُ في الأَرضِ كلِّها * تَجَلَّى هِلالُ الشَّهْرِ أَو لاحَ حاجِبُهْ (٨)

ففي الغَرْبِ عِيدٌ يَنْظِمُ الغَرْبُ حُسْنَه * فتَهْتَزُّ مِنْ وَقْعِ السُّرورِ جَوانِبُهْ (٩)

وفي الشَّرقِ عِيدٌ لَمْ يَرَ الشَّرْقُ مِثْلَه * تَدَفَّقُ في دارِ السَّلامِ مَواكِبُهْ (١٠)

---

(١) رهن بما هو كاسبه ، أى مجزى بما اقترفه هو ، لا بما اقترفه غيره ؛ يقال : هو رهن بكذا ، أى مقصور عليه لا يتعداه . (٢) ما أنت مشته ، أى الحياة . وما أنت سالبه ، أى حقوق الأمة وحريتها .

(٣) شبه «الآمال» بالرداء الذى له فضول ، أى زيادات يجذب منها . يقول : إن آمالك فى الملك قد قصرت فليس فيها موضع تمسكه يدك وتجذبها منه . (٤) الصرح : ما علا من البنيان . ويريد «بالأفاعى والعقارب» : جواسيس عبد الحميد ورسل الشر فى عهده . (٥) تموز : شهر معروف من السنة المسيحية ، ويوافق شهر يوليه ، وهو الذى نالت فيه الأمة التركية دستورها . والبلسم : دواء تضمد به الجراح . (٦) رعت : أفزعت ، وأرهقت ظالما : حملته ما لا يطيق من العذاب .

(٧) يقال : يوم أو شهر أغر محجل ، اذا كان مشهورا ؛ وأصلهما من الصفات الممدوحة فى الخيل ، الأغر منها ما كان فى جبهته بياض ، والمحجل ما كان البياض فى قوائمه . (٨) تجلى : ظهر .

(٩) يريد «بالعيد الذى فى الغرب» : عيد الحرية فى فرنسا ، وهو فى شهر تموز (١٤ يوليه) .

(١٠) يريد «بالعيد الذى فى الشرق» : عيد الدستور التركى ؛ وقد نسبه الى الشرق ، لأن الأمم الشرقية التابعة لتركيا كانت تتخذ هذا اليوم عيدا لها . ودار السلام : القسطنطينية .

يُطيفُونَ بالعَرْشِ الكَرِيمِ ورَبِّه * تُطِيفُ بهِمْ آلاؤُه ومناقِبُهْ (١)

لِتَهْنِئْ أميرَ المؤمنين مُحَمَّدا * خِلافَتُه فالعَرْشُ سَعْدٌ كَواكِبُهْ

سَتَمْلِكُ أمْواجَ البِحارِ سَفِينُه * كما مَلَكَتْ ثُمَّ الجِبالِ كَتائِبُهْ (٢)

مَمالِكُهُ مَحْرُوسَةٌ وثُغُورُه * رَكائِبُهُ مَنصورَةٌ ومَراكِبُهْ

إلى البرنس حسين كامل باشا (٣)

رئيس مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، عبر فيها عن آلام الأمة المصرية وآمالها

[نشرت فى ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٩ م]

لَقَدْ نَصَلَ الدُّجَى فمَتَى تَسَامُ * أهَمٌّ ذادَ نَوْمَكَ أمْ هُيامُ (٤)

غَفَا المَحْزُونُ والشاكِى وأغْفَى * أُخُو البَلْوَى ونامَ المُسْتَهامُ (٥)

وأنتَ تُقَلِّبُ الكَفَّيْنِ آنًا * وآوِنَةً يُقَلِّبُكَ السَّقامُ (٦)

تَحَدَّرَتِ المَدامِعُ مِنكَ حَتَّى * تَعَلَّمَ مِنْ مَحاجِرِكَ الغَمامُ (٧)

---

(١) الآلاء : النعم . والمناقب : الخصال الحميدة ؛ الواحدة منقبة .

(٢) ثم الجبال : أعاليها ، الواحد أثم . والكتائب : فرق الجيش ؛ الواحدة كتيبة .

(٣) ولد السلطان حسين كامل فى يوم ١٩ صفر سنة ١٢٧٠ هـ — ٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م . وفى يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ تولى عرش مصر . وتوفى رحمه الله فى ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ م .

(٤) نصل الدجى : خرج من سواده وأبيض بطلوع الصباح . وذاد : منع . والهيام : العشق .

(٥) غفا وأغفى : نام . والمستهام : العاشق .

(٦) تقليب الكف : كناية عن الحيرة .

(٧) المحاجر : جمع محجر (بفتح الميم وكسر الجيم وسكون ما بينهما) ، وهو ما دار حول العين . والغمام : السحاب . يقول : إن السحاب تعلم انهمال مطره من انهمال مدامعك .

ضَجَّتْ مِنْ تَقَلُّبِكَ الحَشَايَا (١) * وأَشْفَقَ مِنْ تَلَهُّفِكَ الظَّلامُ

تَبِيتُ تُساجِلُ الأَفْلاكَ سُهْدًا (٢) * وعَيْنُ الكَوْنِ رَنَّقَها المَنامُ

وتَكْتُمُنا حَدِيثَ هَواكَ حَتَّى * أَذاعَ الصَّمْتُ ما أَخْفَى الكَلامُ

بِرَبِّكَ هَلْ رَجَعْتَ إلى رَسِيسٍ (٣) * مِنَ الذِّكْرَى وهَلْ رَجَعَ الغَرامُ؟

وقد لَمَعَ المَشِيبُ وذَاكَ سَيْفٌ * عَلى فَوْدَيْكَ عَلَّقَهُ الحِمامُ (٤)

أَيَجْهَلُ بالأَدِيبِ أَدِيبِ مِصْرٍ * بُكاءُ الطِّفْلِ أَرْهَقَهُ الفِطامُ (٥)

ويَصْرِفُه الهَوَى عن ذِكْرِ مِصْرٍ * ومِصْرٌ فى يَدِ الباغِى تُضامُ؟ (٦)

عَدِمْتُ يَراعَتِي إن كان ما بى * هَوًى بين الضُّلوعِ له ضِرامُ (٧)

وما أنا والغَرامَ وشابَ رَأْسِى * وغالَ شَبابِيَ الخَطْبُ الجُسامُ (٨)

ورَبِّانِي الذى رَبِّى (لَبِيدًا) * فعَلَّمَنِي الذى جَهِلَ الأَنامُ (٩)

---

(١) الحشايا : الفرش المحشوة ؛ الواحدة حشية (بتشديد الياء) . (٢) تساجل الأفلاك سهدا ، أى تشاركها فى السهر وتناديها فيه . ورنقها : خالطها . (٣) الرسيس : البقية والأثر .

(٤) الفودان : ناحيتا الرأس . والحمام (بكسر الحاء) : الموت . ويريد «بالسيف المعلق على ناحيتى الرأس» : الشيب ، لأن كليهما قاتل .

(٥) أرهقه : آذاه وآلمه . (٦) الباغى : الظالم . (٧) اليراعة : القلم . ويريد بلاغتـه وأدبه ، لأنهما يكتبان به . وضرام النار : اشتعالها . (٨) غاله : أفناه وأهلكه . والجسام والجسيم : العظيم . (٩) يريد لبيد بن ربيعة العامرى الشاعر المعروف ، صاحب المعلقة المشهورة ، التى أولها : «عفت الديار محلها فمقامها» . وكان من المعمرين ، أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم . ويريد «بالذى ربى لبيدا» : الزمان وتطاوله . وخصه بالذكر لأنه من المعمرين ، ومن يعيشوا الحياة حتى سئموها ، قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وسؤال هذا الناس كيف لبيد؟

لَعَمْرُكَ ما أَرِقْتُ لغَيْرِ مِصْرٍ * ومالِي دُونَها أَمَلٌ يُرَامُ[1]

ذَكَرْتُ جَلالَها أيّامَ كانَتْ * تَصُولُ بها الفَراعِنَةُ العِظامُ

وأيّامَ الرجالُ بها رِجالٌ * وأيّامَ الزّمانُ لها غُلامُ

فأَقْلَقَ مَضْجَعِي ما باتَ فِيها * وباتَتْ مِصْرُ فيه ، فهَلْ أَلامُ؟

أَرَى شَعْبًا بمَدْرَجَةِ العَوادِي * تَمَخَّخَ عَظْمَهُ داءٌ عُقامُ[2]

إذا ما مَرَّ بالبَأْساءِ عامٌ * أَطَلَّ عليه بالبَأْساءِ عامُ

سَرَى داءُ التَّواكُلِ فيه حَتَّى * تَخَطَّفَ رِزْقَه ذاكَ الزُّحامُ[3]

قد اسْتَعْصَى على الحُكَماءِ مِنّا * كما اسْتَعْصَى على الطِّبِّ الجُذامُ[4]

هَلاكُ الفَرْدِ مَنْشَؤُهُ تَوانٍ * ومَوْتُ الشَّعْبِ مَنْشَؤُهُ انْقِسامُ

وإنّا قد وَنِينا وانْقَسَمْنا * فلا سَعْيٌ هُناكَ ولا وِئامُ

فساءَ مُقامُنا في أَرْضِ (مِصْرٍ) * وطابَ لغَيْرِنا فيها المُقامُ

فلا عَجَبٌ إذا مُلِكَتْ علينا * مَذاهِبُنا وأَكْثَرُنا نِيامُ[5]

(حُسَيْنُ حُسَيْنُ) أنتَ لها فَنَبِّهْ * رِجالًا عن طِلابِ الحقِّ نامُوا

وكُنْ بأبيكَ لابْنِ أَخِيكَ عَوْنًا * فأنتَ بكَفِّهِ نِعْمَ الحُسامُ[6]

---

(١) أرق أرقا (وزان فرح فرحا) : سهر . (٢) المدرجة : الطريق . والعوادى : النوائب . وتمخخ العظم ، إذا أخرج مخه . والداء العقام : الذى لا يرجى البرء منه . (٣) يريد «بالزحام» : مزاحمة الأجانب للمصريين . (٤) الضمير فى «استعصى» : يعود على «التواكل» السابق .

(٥) المذاهب : الطرق . (٦) يريد «بابن أخيه» : عباس الثانى خديوى مصر السابق .

أَفِضْ فى قاعَةِ الشُّورَى وِئَامًا * فقَدْ أَوْدَى بِنَا وَبِها ٱلخِصامُ

وعَلَّمْهُمْ مُصادَمَةَ العَوادِى * فِشَلْكَ لا يُرَوِّعُه الصِّدامُ (١)

فَفى حِزْبِ اليَمِينِ لَدَيْكَ قَوْمٌ * وإنْ قَلُّوا فإنَّهُمُ كِرامُ

وفى حِزْبِ الشِّمالِ لَدَيْكَ أُسْدٌ * كُماةٌ لا يَطِيبُ لها ٱنهِزامُ (٢)

فَكونوا لِلبِلادِ ولا يَفُتْكُمْ * مِنَ النَّهَزاتِ والفُرَصِ ٱغتِنامُ (٣)

فما سادُوا بِمُعْجِزَةٍ علينا * ولكنْ فى صُفوفِهِمُ ٱنضِمامُ (٤)

فلا تَثِقُوا بِوَعْدِ القَوْمِ يومًا * فإنَّ سَحابَ ساسَتِهِمْ جَهامُ (٥)

وخافُوهُمْ إذا لانُوا فإنِّى * أَرَى السُّوَّاسَ ليس لَهُمْ ذِمامُ (٦)

فكَمْ ضَحِكَ العَمِيدُ على لِحانا * وغَرَّ سَراتَنا مِنْه ٱبْتِسامُ (٧)

أَبَا الفَلَّاحِ إنَّ الأَمْرَ فَوْضَى * وجَهْلُ الشَّعْبِ والفَوْضَى لِزامُ (٨)

فأَسْعِدْنا بِنَشْرِ العِلْمِ وٱعلَمْ * بأنَّ النَّقْصَ يَعْقُبُه التَّمامُ

---

(١) العوادى : النوائب . ويروعه : يفزعه . (٢) الكماة : الشجعان ؛ الواحد كمى (بفتح الكاف وتشديد الياء) . (٣) النهزات : ما ينتهز من الفرص ، الواحدة نهزة (بضم فسكون) .

(٤) سادوا : يريد شعوب الغرب . (٥) يريد « بالقوم » : الإنجليز . و « بوعدهم » : ما وعدوا به مصر من الجلاء عنها . والجهام من السحب (بفتح الجيم) : الذى لا ماء فيه .

(٦) الذمام : الذمة والعهد . (٧) يريد عميد الدولة الإنجليزية (السير غورست) . والسراة من الناس : أهل الرفعة والمنزلة ؛ الواحد مرى (بفتح السين وتشديد الياء) .

(٨) أبو الفلاح : كنية كان يكنى بها المغفور له السلطان حسين كامل ، وذلك لما كان يظهره من العناية بالفلاحين والنظر فيما يصلحهم ويعود عليهم بالرفاهية والخصب . ولزام ، أى ان الجهل والفوضى متلازمان ، إذا وجد أحدهما وجد الآخر .

وليس العلمُ يُمسكُا وجِدًا * اذا لم ينصُرِ العلمَ اعتزامُ

وإنْ لم يُدرِكِ الدُّستورُ (مِصرًا)[1] * فما لحياتها أبدًا قِوامُ

حَمَوْنا وِردَ ماءِ (النِّيلِ) عَذْبًا * وقالوا : إنه مَوْتٌ زُؤامُ[2]

وما الموتُ الزُّؤامُ إذا عَقَلْنا * سِوَى الشِّركاتِ حَلَّلها الحَرامُ

لقد سَعِدَتْ بغفلَتِنا فراحَتْ * بثَرْوَتِنا وأَوْلُها (الترامُ)

فياوَيْلَ القناةِ إذا احتواها * (بَنُو التامِيزِ)[3] وانحسَرَ اللِّثامُ

لقد بَقِيَتْ مِنَ الدُّنيا حُطامًا[4] * بأيدينا وقد عَزَّ الحُطامُ

وقد كُنّا جَعَلْناها زِمامًا[5] * فوالهَفِي اذا قُطِعَ الزِّمامُ

(فيا قَصْرَ الدُّبارَةِ) لستُ أدري * أحَرْبٌ فى حِرابِكَ أمْ سَلامُ

أجِبْنا ، هل يُرادُ بنا وَراءً[6] * فنَقْضِي أمْ يُرادُ بنا أمامُ

ويا حِزْبَ اليَمينِ إليكَ عَنّا[7] * لقد طاشَتْ نِبالُكَ والسِّهامُ

ويا حِزْبَ الشِّمالِ عليكَ مِنّا * ومِنْ أبْناءِ نَجْدَتِكَ السَّلامُ

---

(١) قوام الأمر : نظامه وعماده وملاكه الذى يقوم به . (٢) يشير بهذا البيت الى شركة المياه . ويريد بقوله : « موت زؤام » : ما يحمله ماء النيل الكدر من الجراثيم . (٣) القناة : أى قناة السويس . وبنو التاميز : الإنجليز . والتاميز : نهر عندهم معروف . ويريد « بانحسار اللثام » : انكشاف الحجاب عما يضمرونه نحو مصر . (٤) بقيت : أى القناة . (٥) يريد بهذا البيت والذى قبله أن قناة السويس قد بقيت فى يدنا تراثا عن السلف على قلة تراثنا ، وقد كنا نأمل منها أن تكون صلة بيننا وبين العالم وأخوف ما نخافه أن تنقطع هذه الصلة . (٦) تقضى : تموت . (٧) حزب اليمين : الأعضاء الذين كانوا يؤيدون الحكومة فى مجلس شورى القوانين . وحزب الشمال : المعارضون الذين كانوا يؤيدون رأى الأمة . وأبناء نجدتك : أى الذين يناصرونك ويرون رأيك . والنجدة : الشجاعة والنصرة .

تحيـــة العـام الهجـــرى

[سنة ١٣٢٨هـ — يناير سنة ١٩١٠م]

لى فيكَ حينَ بَدَا سَناكَ وأَشْرَقَا * أَمَلٌ سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَتَحَقَّقَا (١)

أَشْرِقْ علينا بالسُّعودِ ولا تَكُنْ * كأَخِيكَ مَشْئُومَ المَنازِلِ أَخْرَقَا (٢)

قد كانَ جَرَّاحَ النُّفُوسِ فَداوِها * مِمَّا بِها وكُنِ الطَّبِيبَ مُوَفَّقَا

هَلَّلْتُ حِينَ لَمَحْتُ نُورَ جَبِينِه * ورَجَوْتُ فيه الخَيْرَ حِينَ تَأَلَّقَا (٣)

وهَزَزْتُه بقَصِيدَةٍ لو أَنَّها * تُلِيَتْ على الصَّخْرِ الأَصَمِّ لأَغْدَقَا (٤)

فنَأَى بجانِبِه وخَصَّ بتَحْيِه * مِصْرًا وأَسْرَفَ فى النُّحُوسِ وأَغْرَقَا (٥)

لو كُنْتُ أَعْلَمُ ما يُحَبِّبُه لنا * لسأَلْتُ رَبِّى ضارِعًا أَنْ يُحْقِقَا

أَوْلَى الأَعاجِمِ مِنَّةً مَذْكُورَةً * وأَعادَ للأَتْرَاكِ ذاكَ الرَّوْنَقَا (٦)

وتَغَيَّرَتْ فيه الخُطوبُ بفارِسٍ * حتَّى رأَيْتُ الشاهَ يَخْشَى البَيْدَقَا (٧)

---

(١) السنا : الضوء ، يخاطب هلال المحرم . (٢) يريد بقوله «أخيك» : هلال العام الذى قبله . والمنازل : البروج التى ينتقل فيها القمر ، والأخرق : من الخرق (بضم الخاء) والخرق (بفتح الخاء والراء) ، وهو القسوة والحمق . (٣) تألق : أضاء وأشرق . (٤) يقال : هزه إلى المعروف : اذا حركه اليه وشوقه الى عمله . وأغدق : تفجر بالماء الكثير . ويريد «بالقصيدة» : القصيدة السابقة التى أولها :

أهلال على الأكوان والخلق تنظر * هلال رآه المسلمون فكبروا

(٥) نأى : بعد . يريد أنه أعرض عن رجائنا فيه . وأغرق فى النحوس : بالغ فيها وأفرط .

(٦) أولى : أعطى . ويريد أن الأعاجم ، وهم الفرس ، نالوا فيه الدستور ، وكذلك الترك .

(٧) الخطوب : الشئون ، الواحد : خطب (بفتح الخاء) . والشاه : ملك العجم . والبيدق : الجندى . ويشير إلى الشاه والبيدق من قطع الشطرنج . والمعنى أن الحكم فى فارس قد أصبح بيد الأمة حتى أصبح الملك يخشى رعيته بعد أن كانت تخشاه .

وأدالَ مِنْ (عبدِ الحميدِ) لشَعْبِه * فهَوَى وحاولَ أنْ يعُودَ فأُخْفِقَا (١)

أمْسَى يُبالِي حارِسًا مِنْ جُنْدِه * ولقد يَكُونُ وما يُبالِي الفَيْلَقَا (٢)

ورَمَى على أرْضِ الكِنانةِ حِرْمَه * بالنازِلاتِ السُّودِ حتَّى أرْهَقَا (٣)

حَصَدَتْ مَناجِلُه غِراسَ رَجائِنا * ولو أنَّها أبْقَتْ عليه لأَوْرَقَا (٤)

فتَقَيَّدَتْ فيه الصَّحافَةُ عَنْوَةً * ومَشَى الهَوَى بين الرَّعِيَّةِ مُطْلَقَا (٥)

وأتَى يُساوِمُ فى (القَناةِ) خَدِيعَةً * ولو أنَّها تَمَّتْ لَتَمَّ بها الشَّقَا

إنَّ البَلِيَّةَ أنْ تُباعَ وتُشْتَرَى * (مِصْرُ) وما فيها وألَّا تَنْطِقَا (٦)

كانتْ تُواسِينا على آلامِنا * صُحُفٌ إذا نَزَلَ البَلاءُ وأطْبَقَا (٧)

فإذا دَعَوْتُ الدمْعَ فاستَعْصَى بَكَتْ * عنَّا أسًى حتَّى تَغَصَّ وتَشْرَقَا

كانتْ لنا يومَ الشَّدائِدِ أسْهُمًا * نَرْمِى بها وسَوابِقًا يومَ اللِّقَا (٨)

(١) يقال : أدال الله لك من فلان : اذا جعل الكرة والنصر لك عليه . وأخفق فى السعى : لم ينجح فيه . (٢) الضمير فى «أمسى» : لعبد الحميد . والفيلق : الجيش العظيم . (٣) رمى : الضمير فيها يعود على الهلال . وأرض الكنانة : مصر . وأرهق : أنزل على أهلها الضر والظلم والطغيان .

(٤) المناجل : جمع منجل ، وهو آلة يحصد بها الزرع ، معروفة . (٥) يشير إلى تقييد قانون المطبوعات الذى عمل به فى عهد وزارة بطرس غالى باشا ، فقيد حرية الرأى والكتابة فى الصحف . والعنوة : القهر . ويريد «بالهوى» : الحكم بما يشتهيه الحاكم ، لا بما يقتضيه العدل . ومطلقا ، أى لا قيد عليه .

(٦) يشير بهذا البيت والذى قبله الى ما حدث فى عهد نظارة بطرس غالى باشا من أن شركة قناة السويس كانت قد عرضت على الحكومة المصرية مد أجل امتيازها أربعين سنة أخرى تبتدئ من سنة ١٩٦٩ م الى نهاية سنة ٢٠٠٨ م وأبت ذلك الجمعية العمومية بإجماع أعضائها محتجة بأن فى ذلك غبنا فاحشا قدر بمبلغ ٠٠٠ر٩٨ر٥ و١٣٠ جنيها ، وكان ذلك فى ٧ أبريل سنة ١٩١٠ م ، وكان رأى الجمعية العمومية فى هذه المسألة قطعيا لا استشاريا .

(٧) أطبق عليهم البلاء : غشيهم وعظائم .

(٨) السوابق : من صفات الخيل ، أى إن الصحف كانت عدة لنا فى الجهاد .

كانتْ صِماماً للنفُوسِ إذا غَلَتْ * فيها الهُمومُ وأَوْشكتْ أن تَزْهَقَا

كم نَفَّسَتْ عَنْ صَدْرِ حُرٍّ واجِدٍ * لولا الصِّمامُ مِنَ الأَسَى لَتَمَزَّقَا (١)

مالى أَنُوحُ على الصَّحافَةِ جازِعًا * ما ذا أَلَمَّ بها وماذا أَحْدَقا؟ (٢)

قَصُّوا حَواشِيَها وظَنُّوا أنَّهم * أَمِنُوا صَواعِقَها فكانَتْ أَصْعَقا

وأَتَوْا بحاذِقِهِمْ يَكِيدُ لها بِما * يَثْنِي عَزائِمَها فكانتْ أَحْذَقا (٣)

أَهْلًا بناشِئَةِ البِلادِ ومَرْحَبًا * جَدَّدْتُمُ العَهْدَ الذى قد أَخْلَقا (٤)

لا تَيْأَسُوا أَنْ تَسْتَرِدُّوا مَجْدَكُمْ * فَلَرُبَّ مَغْلُوبٍ هَوَى ثم ارْتَقَى

مَدَّتْ له الآمالُ مِنْ أَفْلاكِها * خَيْطَ الرَّجاءِ إلى العُلا فتَسَلَّقا (٥)

فتَجَشَّمُوا المَجْدِ كلَّ عَظِيمَةٍ * إنِّى رأَيْتُ المَجْدَ صَعْبَ المُرْتَقَى (٦)

مَنْ رامَ وَصْلَ الشمسِ حالَكَ خُيُوطَها * سَبَبًا إلى آمالِه وتَعَلَّقا (٧)

عارٌ على ابنِ النِّيلِ سَبَّاقِ الوَرَى * ـ مَهْمَا تَقَلَّبَ دَهْرُه ـ أنْ يُسْبَقا

أو كلَّما قالوا تَجَمَّعَ شَمْلُهُمْ * لَعِبَ الشِّقاقُ بِجَمْعِنا فتَفَرَّقا (٨)

---

(١) نفست : خففت . والواجد : الحزين . والأسى (بفتح الهمزة) : الحزن . ورد «من الأسى» متعلق بقوله «لتمزقا» .

(٢) ألم : نزل . وأحدق : أحاط .

(٣) يريد «بحاذقهم» : بطرس غالى باشا رئيس النظار إذ ذاك . ويريد بقوله «فكانت أحذقا» : أنها كانت تؤدى عملها فى نقد الحكومة بمهارة ومداورة حتى لا تؤاخذ .

(٤) ناشئة البلاد : نشؤها وشبانها . وأخلق : بل ودرث .

(٥) تسلق : صعد .

(٦) تجشموا : تكلفوا .

(٧) حالك : نسج . والسبب : الحبل . يقول : إن من يريد أن يبلغ منال الأمور تلمس الوسائل لها مهما بدا من ضعفها أو استحالتها .

(٨) الشقاق : الخلاف والعداوة .

فتدفقوا لجبا وحوطوا نيلكم * فلكم أفاض عليكم وتدفقا (١)

حملوا علينا بالزمان وصرفه * فتأنقوا فى سلبنا وتأنقا (٢)

هزؤا مغاربها فهابت بأسهم * يا ويلكم إن لم تهزؤا المشرقا (٣)

فتعلموا فالعلم مفتاح العلا * لم يبق بابا للسعادة مغلقا

ثم استمدوا منه كل قواكم * إن القوى بكل أرض يتقى

وابنوا حوالى حوضكم من يقظة * سورا وخطوا من حذار خندقا (٤)

وزنوا الكلام وسددوه فإنهم * خبأوا لكم فى كل حرف مزلقا (٥)

وامشوا على حذر فإن طريقكم * وعر أطاف به الهلاك وحلقا (٦)

نصبوا لكم فيه الفخاخ وأرصدوا * للسالكين بكل نج مهوقا (٧)

الموت فى غشيانه وطروقه * والموت كل الموت ألا يطرقا (٨)

فتحينوا فرص الحياة كثيرة * وتعجلوها بالعزائم والرقى (٩)

---

(١) حاطه : صانه وحفظه . (٢) حملوا علينا بالزمان ، أى حاربنا المحتلون بحوادث الزمان ونوائبه وتأنق فى الأمر : بالغ فيه . (٣) يقول : إن للإنجليز من الحول والقوة ما أرهبوا به دول الغرب ، فليكن لكم أيها المصريون بين أمم الشرق ما للإنجليز بين أمم الغرب . (٤) المراد (بالحوض) هنا : الحمى . (٥) المزلق : مكان الانزلاق ، أى الزلل والسقوط .

(٦) الوعر : الصعب . وحلق : ارتفع . يريد أن الهلاك قد غشى طريقكم من كل مكان .

(٧) النهج : الطريق . والموبق : المهلك . (٨) يريد أن طريق الأمة الى المجد والحرية مملوء بأسباب الهلاك ، على أن ما نحن فيه من استكانة ودعة ورضى بالاستعباد والذل موت أكبر ، فى الإقدام موت ، وفى الإحجام موت أعظم ، فتحينوا الفرص ، وهو ما يقوله فى البيت الآتى .

(٩) تعجل الأمر : طلبه عاجلا . والرقى : جمع رقية ، وهى معروفة . ويريد «بالعزائم والرقى» هنا : قوة الدهاء والتلطف فى الحيلة ، وحسن التأتى إلى المقاصد .

أو فاخلقوها قادرين فإنما * فُرَصُ الحياةِ خليقةٌ أن تُخلقا
وتهيئوا ظلَّ الأريكة وانصبوا * ملكًا بأمنيه أبرَّ وأرفقا (١)
لا زال تاجُ المُلكِ فوقَ جبينه * تحتَ الهلالِ يزينُ ذاكَ المَفرِقا (٢)

تحية الأسطول العثماني

أنشدها في حفل أقيم بتياترو عباس في ٩ مارس سنة ١٩١٠ م برآسة وصوف باشا المعتمد العثماني

بالذي أجراكِ يا ريحَ الخزامى * بلِّغي البسفورَ عن مصرَ السلاما (٣)
واقطفي من كلِّ روضٍ زهرةً * واجعليها لتحايانا كِماما (٤)
واشري رياكِ في ذاكَ الحِمى * واتلمي الأرضَ إذا جئتِ الإماما (٥)

ملكٌ للشرقِ في أيامه * همةُ الغربِ نهوضًا واعتزاما
أيها القائمُ بالأمرِ لقد * قمتَ في الناسِ فأحسنتَ القياما
جرِّد الرأيَ فحكمُ رأيٍ إذا * سُلَّ من غِمدِ النُّهى فلَّ الحُساما (٦)

---

(١) تهيئوا ظل الأريكة : يطلب إليهم أن يتجهوا إليها ويستظلوا بها . والأريكة : سرير الملك .
(٢) مفرق الرأس : وسطه ، وهو حيث يفرق فيه الشعر .
(٣) الخزامى : نبات عطري زهره من أطيب الأزهار نفحة ؛ وهذا النبات يقارب البنفسج ، وزهره إلى الزرقة واللازوردية .
(٤) الكمام : أغطية الزهر ؛ الواحد كم (بكسر الكاف وتشديد الميم) . يقول : حوطي تحايانا بأزهار الرياض . ويشير بذلك إلى أن التحايا التي يبعث بها إلى البسفور أذكى من الأزهار وريحا ، لأن الأزهار أذكى من أكمامها وأطيب نفحة .
(٥) الريا : الرائحة العطية . ويريد «بالإمام» : خليفة المسلمين .
(٦) النهى : العقول ؛ الواحد نهية . وفل الحسام : ثلمه وكسره .

وابعث الأسطول ترمي دونه * قوة الله وراءً وأماما

(١)
يكلأ الشرق ويرعى بقعة * رفع الله بها (البيت الحراما)

(٢)
وثغوراً هي أبهى منظراً * من ثغور الغيد يبدين ابتساما

(٣)
خصها الله بأفق مشرق * ضم في الألاء (مصراً) و(الشاما)

(٤)
حيّ يا مشرق أسطول الألى * ضربوا الدهر بسوط فاستقاما

ملكوا البر فلما لم يسع * مجدهم نالوا من البحر المراما

(٥)
بجوار منشآت كالدمى * أينما سارت صبا البحر وهاما

(٦)
كلما أوفت على أمواجه * سجد الموج خشوعاً واحتشاما

(٧)
كان بالبحر اليها ظمأ * وعجيب يشتكي البحر الأواما

(٨)
فهي في السلم جوار تجتلى * تبهر العين رواء ونظاما

(٩)
وهي في الحرب قضاء سابح * يدع الحصن تلالا ورجاما

---

(١) يكلأ الشرق : يحفظه ويصونه . ويريد «بالبقعة» : الحجاز . (٢) الغيد : جمع غادة» وهي المرأة الليّنة الناعمة . (٣) الألاء : الضياء .

(٤) «ضربوا الدهر ... الخ» : يريد أنهم أخضعوه لسطوتهم وعزمهم فاستقام لهم .

(٥) الجواري المنشآت : السفن . والدمى : جمع دمية ، وهي الصورة المنقشة المزينة . شبه السفن بها في جمالها .

(٦) أوفت : أشرفت . والاحتشام : الحياء .

(٧) الأوام : شدة العطش .

(٨) تجتلى : ينظر اليها الناس معجبين بحسنها ورونقها . والرواء (بضم الراء) : حسن المنظر .

(٩) الرجام : الحجارة ، الواحد رجمة (بضم الراء وسكون الجيم) .

ما نُجُومُ الرَّجْمِ مِنْ أَبْرَاجِها * إِثْرَ عِفْرِيتٍ مِنَ الجِنِّ تَرَامَى (١)

مِنْ مَرَامِيها بِأَنْكَى مَوْقِعًا * لَا وَلَا أَقْسَى مِرَاسًا وَعُرَامَا (٢)

وهِيَ بُرْكَانٌ اذا ما هَاجَها * هائِجُ الشَّرِّ عِداءً وخِصاما

جَبَلَ النارِ لقد رُعْتَ الوَرَى * أَنْتَ فى حالَيْكَ لا تَرْعَى ذِماما (٣)

أَنْتَ فى البَرِّ بَلاءٌ فإذا * رَكِبَ البَحْرَ غَدَا مَوْتًا زُؤاما (٤)

فاتَّقُوا الطَّوْدَ مَكِينًا رابِيًا * واتَّقُوا الطَّوْدَ اذا ما الطَّوْدُ عاما (٥)

حَمَلَتْ حَرْبًا فكانَتْ حِقْبَةً * نُذُرًا لِلْمَوْتِ تَجْتاحُ الأَنَاما (٦)

خافَها العالَمُ حتى أَصْبَحَتْ * رُسُلًا تَحْمِلُ أَمْنًا وسَلاما (٧)

بُعِثَ المَشْرِقُ مِنْ مَرْقَدِه * بعدَ حِينٍ ، جَلَّ مَنْ يُحْيِي العِظاما

أَيُّها الشَّرْقُ تَمَطَّ لا تَنَمْ * وانْفُضِ العَجْزَ فإنَّ الجِدَّ قاما

---

(١) تراى ، أى تتراى وتتساقط . ويشير الى أن الجن كانوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم يسترقون السمع من السماء ، فلما بعث صلى الله عليه وسلم صار يرجم بالشهب كل من يريد منهم الدنو من السماء واسترقاق السمع ؛ وقد حكى الله تعالى ذلك فى القرآن فى سورة الجن .

(٢) أنكى : خبر «لها» فى قوله السابق : «ما نجوم» . والعرام : الشراسة والأذى والحدة . يريد أن الشهب التى يرجم بها الجن المسترقون السمع من السماء ليست أشد وقعا ولا أنكى عذابا من قذائف هذه السفن فى الحرب .

(٣) وعت : أفزعت . والذمام : الحرمة والعهد .

(٤) يشير بقوله «أنت فى البر» : الى البراكين المعروفة . وبقوله « فاذا ركب البحر » : إلى الأسطول ، تشبيها له بالبراكين . جعل البركان مظهرين : مظهره الحقيقى فى البر ، ومظهره المجازى فى الأسطول .

(٥) الطود : الجبل العظيم .

(٦) الحقبة من الدهر : مدة لاحد لها . وتجتاح الأنام : تهلكهم .

(٧) يريد بهذا البيت والذى قبله : أن هذه السفن خدمت الحرب والسلم معا ، فكانت فى الحرب رسل موت تحصد الأرواح ، وهى لقوتها وكمال استعدادها أخافت الأعداء فتجنبوا حربها ، فكانت مبعث سلم أيضا .

وامتطِ العزمَ جوادًا للعُلا * وأجعلِ الحكمةَ للعزمِ زِماما (١)

وإذا حاولتَ فى الأفقِ مُنًى * فاركبِ البرقَ ولا ترضَ الغَماما (٢)

لا تَضِقْ ذرعًا بما قال العِدا * ربَّ ذى لُبٍّ عن الحقِّ تعامى

سابقِ الغربىَّ واسبِقْ واعتصِمْ * بالمروءاتِ وبالبأسِ اعتصاما

جانبِ الأطماعَ وانهجْ نهجَه * وأجعلِ الرحمةَ والتقوى لِزاما

طلبُوا منْ عِلمِهم أنْ يُعجِزُوا * قادرَ الموتِ وأنْ يَثنُوا الحِماما (٣)

وأرادُوا منه أنْ يرفعَهم * فوقَ هامِ الشُّهبِ فى الغيبِ مَقاما (٤)

(قُتِلَ الإنسانُ ما أكفرَه) * طاولَ الخالقَ فى الكونِ وسامَى (٥)

أخرجَ الغيبَ إلى أنْ بزَّه * سِرُّه بزًّا ولم يخشَ انتقاما (٦)

قُوةَ الرحمنِ زِيدِيا قُوًى * وأفيضى فى بَنِى الشرقِ الوئاما

أفرِغى منْ كلِّ صدرٍ حِقدَه * أملِئِ التاريخَ والدُّنيا كلاما

أسألُ اللهَ الذى ألهمَنا * خِدمةَ الأوطانِ شيخًا وغُلاما

أنْ أرَى فى البحرِ والبرِّ لنا * فى الوغَى أندادَ (طُوجُو) و(أُياما) (٧)

---

(١) الزمام : ما تقاد به الدابة . (٢) يريد « بركوب البرق » : شدة السرعة ، لأن بط الغمام لا يصلح مطية للجد . (٣) قادر الموت : مقدره ، وهو الله تعالى .

(٤) الهام : الرءوس ، الواحدة هامة ، والشهب : النجوم . (٥) طاول : غالب ، وسامى مسامأة : باراه فى السمو . (٦) بزه : سلبه . (٧) الوغى : الحرب ، والأنداد : الأشباه ، وطوجو وأياما : قائدان يابانيان معروفان .

حـــرب طـــرابلس

[فى ســـنة ١٩١٢ م]

طَمَعٌ أَلْقَ عن الغَرْبِ اللِّثاما * فاستَفِقْ يا شَرْقُ واحذَرْ أنْ تَنَاما (٢)

وأحِـــلِّي أيَّتُها الشمسُ إلى * كلِّ مَنْ يَسْكُنُ فى الشَّرقِ السَّلاما

وأشـــهِدِى يومَ التَّنادِى أنَّنا * فى سَبِيلِ الحَقِّ قد مِتْنا كِراما (٣)

مادَتِ الأرْضُ بِنَا حِينَ انتَشَتْ * مِنْ دَمِ القَتْلَى حَلالاً وحَرَاما (٤)

عَجَـــزَ الطُّلْيانُ عَنْ أبْطالِنا * فأَعَلُّوا مِنْ ذَرارِينا الحُسَاما (٥)

كَبَّلُوهُمْ، قَتَـــلُوهُمْ، مَثَّـــلُوا * بذَواتِ الخِـدْرِ، طاحُوا باليَتَامَى (٦)

ذَبَحُـوا الأَشْـــياخَ والزَّمْنَى ولَمْ * يَرْحَمُـوا طِفْـلاً ولَمْ يُبْقُوا غُلاما (٧)

أَحْرَقُوا الدُّورَ، اسْـتَحَلُّوا كلَّ ما * حَرَّمَتْ (لاهايُ) فى العَهْدِ احتراما (٨)

بارَكَ المَطْرانُ فى أَعْمالِهِمْ * فَسَـــلُوه بارَكَ القَـــوْمَ عَلاما؟ (٩)

---

(١) ترجع أطماع إيطاليا فى طرابلس منذ بدأت أوربا تنشط فى اقتسام افريقيا ، ولما رأت إيطاليا أن إنجلترا وفرنسا صارتا صاحبتى النفوذ فى مصر وتونس ، قويت أطماعها فى طرابلس ، ولم تأت سنة ١٩١٢ م حتى أغارت إيطاليا على طرابلس تريد انتزاعها من تركيا ، وفى هذه الحرب يقول الشاعر قصيدته .

(٢) القتام (بالكسر) : الغبار . أى إن أمم الغرب قد كشفوا عما يضمرون للشرق من اقتسامه بينهم . (٣) يوم التنادى : يوم القيامة . (٤) مادت الأرض : اضطربت . وانتشت : سكرت . (٥) أعلوا ، أى سقوا . وأصل الإعلال : السقى بعد السقى . (٦) طاح به : ذهب به وأهلكه . (٧) الزمنى : ذوو العاهات ، الواحد : زمن (بفتح الأول وكسر الثانى) .

(٨) يشير الى مؤتمر لاهاى الذى عقد فى سنة ١٨٩٩ م بدعوة من نقولا الثانى قيصر روسيا للقضاء على أسباب الحرب ، بتقليل السلاح ، وتفويض المشاكل التى تقع بين الدول الى هيئة تحكيم يختار أعضاؤها من بين الدول . (٩) المطران (بالفتح و بكسر) : رئيس الكهنة ، وهو دون البطرق وفوق الأسقف .

أيهذا جاءهم أنجيلهم * أمرا يلقى على الأرض سلاما؟
كشفوا عن نية الغرب لنا * وجلوا عن أفق الشرق الظلاما
فقرأناها سطورا من دم * أقسمت تلتهم الشرق التهاما
أطلقوا الأسطول فى البحر كما * يطلق الزاجل فى الجو الحماما (١)
فمضى غير بعيد وانثنى * يحمل الأنباء شؤما وانهزاما
قد ملأنا البر من أشلائهم * فدعوهم يملكوا الدنيا كلاما (٢)
أعلنوا الحرب واضمرنا لهم * أيما حلوا هلاكا واحتراما (٣)
خبروا (فكتور) عنا أنه * أدهش العالم حربا ونظاما (٤)
أدهش العالم لما أن رأوا * جيشه يسبق فى الجري النعاما
لم يقف فى البر إلا ريثما * يسلم الأرواح أو يلقى الزماما
حاتم الطليان قد قلدتنا * منة تذكرها عاما فعاما (٥)
أنت أهديت إلينا عدة * ولباسا وشرابا وطعاما
وسلاحا كان فى أيديكم * ذا كلال فغدا يفرى العظاما (٦)

(١) الزاجل : الذى يرسل الحمام .
(٢) الأشلاء : الأعضاء وبقايا الأجساد ؛ الواحد شلو .
(٣) احترم القوم : استأصلهم . (٤) فكتور عمانوئيل ، هو ملك إيطاليا .
(٥) شبه ملك الطليان فيما تخلى عنه جيشه للأتراك فى هذه الحرب من الأشياء المذكورة بعد بحاتم الطائى الذى يضرب به المثل فى الكرم ، ولا يخفى ما فى هذا من التهكم .
(٦) كل السيف كلالا : لم يقطع . ويفرى : يشق .

أكثِرُوا النُّزهَـةَ فى أحيائِنا * ورُبانا إنّها تَشْفِى السَّقاما

وأقِيمُـوا كلَّ عامٍ مَوْسِمًا * يُشْبِعُ الأيْتامَ مِنّا والأيامَى (١)

لستُ أدرِى بِتُّ تَرْعَى أمَةً * مِنْ بَنِى (التَّلْيانِ) أمْ تَرْعَى سَواما (٢)

ما لَهُمْ — والنَّصْرُ مِنْ عاداتِهِمْ — * لَزِمُوا الساحِلَ خَوْفًا واعتِصاما

أفْلَتُوا مِنْ نارِ (فِيزُوفَ) إلى * نارِ حَرْبٍ لم تَكُنْ أدْنَى ضِراما (٣)

لم يَكُنْ (فِيزُوفُ) أدْهَى حُمَمًا * مِنْ كُراتٍ تَنْفُثُ المَوتَ الزُّؤاما (٤)

إيهِ يا (فِيزُوفُ) نَمْ عنهمْ فقد * نَفَضَتْ إفريقيا عنها المَتاما

فهْىَ بُرْكانٌ لهمْ سَخَّرَهُ * مالِكُ المُلْكِ لجزاءٍ وانتِقاما

لو دَرَوْا ما خَبَأَ الشَّرقُ لهمْ * آثَرُوا (فِيزُوفَ) واختارُوا المُقاما

تِلْكَ عُقْبَى أمَـةٍ غادِرَةٍ * تَنْكُثُ العَهْدَ ولا تَرْعَى الذِّماما (٥)

تِلْكَ عُقْبَى كلِّ جَبّارٍ طَغَى * أو تَعالَى أو عَنِ الحَقِّ تَعامَى

لو دَرَتْ (رُومَةُ) ما قد نابَها * فى (طَرابُلُسَ) أبَتْ إلّا انقِسامَا

وأبَى كلُّ اشتِراكِىٍّ بها * أنْ يَرَى التاجَ على رأسٍ أقاما

أعْلَنُوا ضَمَّ مَغانِينا إلى * مُلْكِ (قُسْطُورَ) ولَمْ يَخْشَوْا مَلاما (٦)

---

(١) الأيامى : جمع أيم (بتشديد الياء)، وهى من لا زوج لها . (٢) السوام : الإبل الراعية .
(٣) فيزوف : بركان فى جنوبى إيطاليا معروف . (٤) الحمم : جمع حمة، وهى كل ما احترق من النار . يريد ما يقذفه بركان فيزوف . ويريد «بالكرات» : قذائف المدافع . والزؤام : الكريه .
(٥) الذمام : الحق والحرمة . (٦) المغانى : المنازل؛ الواحد مغنى (بفتح فسكون) .

أعلنوا الضم ولما يفتحوا * قيد أظفور وراء أو أماما[1]

فاعجبوا من فاتح ذى مرة * يحسب النزهة فى البحر صداما[2]

ويرى الفتح ادعاء باطلا * وافتراء واحتجاجا واحتكاما

أيها الحائر فى البحر اقترب * من حمى (البسفور) إن كنت همام

كم سمعنا عن لسان البرق ما * يزعج الدنيا إذا الأسطول عاما

عام شهرين ولم يفتح سوى * هوة فيها الملايين ترامى[3]

دفنوا تاريخهم فى قاعها * ورموا فى إثره المجد غلاما

فاطمئنى أمم الشرق ولا * تقنطى اليوم فإن الجد قاما[4]

إن فى أضلاعنا أفئدة * تعشق المجد وتأبى أن تضاما[5]

منظومة تمثيلية

قالها الشاعر عقب ضرب الأسطول الطليانى لمدينة بيروت انتقاما من الأتراك ؛ وذلك فى عهد نشوب الحرب الطرابلسية التى وقعت بين الإيطاليين والترك فى سنة ١٩١٢م . وقد فرض الشاعر هذه الرواية بين جريح من أهل بيروت ، وزوج له اسمها (ليلى) ، وطبيب ، ورجل عربى

الجريح :

(ليلاى) ما أنا حى * يرجى ولا أنا ميت

لم أقض حق بلادى * وهأنا قد قضيت[6]

---

(١) قيد أظفور (بفتح القاف وكسرها) ، أى مقدار ظفر . (٢) المرة (بالكسر) : القوة والشدة .
(٣) ترامى : تتراى . (٤) الجد (بالفتح) : الحظ ، والمراد « بقيامه » : انتعاشه .
(٥) تضام : تظلم . (٦) قضيت : مت .

شَفَيْتُ نَفْسِي لَوْ أَنِّي * لَمَّا رُمِيتُ رَمَيْتُ

(بَيْرُوتُ) لو أنّ خَصْمًا * مَشَى إِلَيَّ مَشَيْتُ

أو داسَ أَرْضَكِ باغٍ * لَدُسْتُهُ وبَغَيْتُ

أَوْ حَلَّ فِيكِ عَدُوٌّ * مُنَازِلٌ ما أَتَّقَيْتُ

لكنْ رَمَاكِ جَبَانٌ * لو بان لى لأَشْتَفَيْتُ (١)

(لَيْلَاىَ) لا تَحْسَبِينِي * على الحياةِ بَكَيْتُ

ولا تَظُنِّي شَكَاتِي * مِنْ مَضْرَعِي إِنْ شَكَوْتُ (٢)

ولا يُخِيفَنْكِ ذِكْرِي * (بَيْرُوتَ) أَنِّي سَلَوْتُ (٣)

(بَيْرُوتُ) مَهْدُ غَرَامِي * فيها وفيكِ صَبَوْتُ (٤)

جَرَرْتُ ذَيْلَ شَبَابِي * لَهْوًا وفيها جَرَيْتُ

فيها عَرَفْتُكِ طِفْلًا * ومِنْ هَوَاكِ ٱنْتَشَيْتُ (٥)

ومِنْ عُيُونِ رُبَاهَا * وعَذْبِ فِيكِ ٱرْتَوَيْتُ (٦)

فيها (لِلَبْلَ) كِنَاسٌ * ولِي مِنَ العِزِّ بَيْتُ (٧)

---

(١) اشتفى : أخذ بثأره فشفى بذلك نفسه . (٢) الشكاة : الشكوى .

(٣) أى لا تخشى بالبلاى من طروق إياك حينما أذكر بيروت ، فكلاكما فى الحب عندى سواء ، كما يتبين ذلك من الأبيات الآتية .

(٤) صبا : مال . أى إن شوقى وغرامى ومبل قلبك وفيها .

(٥) انتشى : سكر .

(٦) الربا : ما ارتفع من الأرض ؛ الواحدة ربوة . وعذب فيك ، أى ريقك العذب .

(٧) الكناس : بيت الظبى الذى يأوى إليه .

فيها بَقَى لىَ مَجْدًا * أوائلى وبَنَيْتُ
(لَيْلَى) سِراجُ حَياتِى * خَبَا فما فيه زَيْتُ[1]
قد أطْفَأَتْهُ كُرَاتٌ * ما مِنْ لَظاهُنَّ فَوْتُ[2]
رَمَى بهنَّ بُغَاةٌ * أصَبْنَنِى فتَوَيْتُ[3]

ليلى :

لو تُفْتَدَى بحَياتى * مِنَ الرَّدَى لفَدَيْتُ
ولو وَفاكَ وَفِىٌّ * بمُهْجَتِى لوَفَيْتُ
إنْ عِشْتَ أو مِتُّ إنِّى * كما نَوَيْتَ نَوَيْتُ[4]

الجريح :

(لَيْلاىَ) عِيشِى وقَرِّى * إذَا الحِمامُ دَعانِى
(ليلاىَ) ساعاتُ عُمْرِى * معْدُودةٌ بالثَّوانِى
فكَفْكِفِى مِنْ دُمُوعٍ * تَفْرِى حُشاشَةَ فانِى[5]
ومَهِّدِى لىَ قَبْرًا * على ذُرا (لُبْنانِ)
ثم اكْتُبِى فوقَ لَوْحٍ * لكلِّ قاصٍ ودانِى:

(١) عبا : خف وطفئ . (٢) يريد « بالكرات » : تذاقف المدافع المعروفة بالقنابل . واللظى : النار ، أو لهبها . والفوت : الافلات . (٣) نويت ، أى هلكت . (٤) كما نويت نويت ، أى أنى جعلت حياتك وموتى تبعا لحياتك وموتك . (٥) تفرى : تقطع . والحشاشة : بقية الروح فى المريض .

هُنا الذى مات غَدْرًا * هُنا فَتَى الفِتْيانِ
رَمَتْهُ أَيْدِى جُناةٍ * مِنْ جِيرَةِ النِّيرانِ (١)
قُرْصانَ بَحْرٍ تَوَلَّوا * مِنْ حَوْمَةِ المَيْدانِ (٢)
لَمْ يَخْرُجوا قِيدَ شِبْرٍ * عَنْ مَسْبَحِ الخِيشانِ
ولَمْ يُطِيقُوا ثَباتًا * فِى أَوْجُهِ الفُرْسانِ
فَشَمَّرُوا لانْتِقامٍ * مِنْ غافِلٍ فى أَمانِ
وسَوَّدُوا وَجْهَ (رُومَا) * بالكَيْدِ لِلجِيرانِ
تَبًّا لَهُمْ مِنْ بُغاثٍ (٣) * فَرُّوا مِنَ العِقْبانِ
لو أَنَّهُم نازَلُونَا * فى الشَّامِ يومَ طِعانِ
رَأَوْا طَرابُلُسَ تَبْدُو * لَهُم بِكُلِّ مَكانِ
يا لَيْتَنِى لَمْ أُعاجِلْ * بالمَوتِ قَبْلَ الأَوانِ
حَتَّى أَرَى الشَّرْقَ يَسْمُو * رَغْمَ اعتِداءِ الزَّمانِ
ويَسْتَرِدُّ جَلالًا * له ورِفْعَةَ شانِ
ولْيَعْلَمِ الغَرْبُ أَنَّا * كَأُمَّةِ (اليابانِ)

---

(١) يريد « بجيرة النيران » : الإيطاليين ، لوجود البراكين فى بلادهم .

(٢) قرصان البحر : لصوصه . وحومة الميدان : موضع القتال . يريد ميدان طرابلس .

(٣) البغاث : طيور يضرب بها المثل فى الضعف . والعقبان : جمع عقاب ، وهو من الطيور الجوارح ، والعرب تسميه (الكاسر) .

لا تَرْتَضِى العَيْشَ يَجْرِى * فى ذِلَّةٍ وهَـوانِ
أَرَاهُـمُ أَنْزَلُـونا * مَنازِلَ الحَيـوانِ
وأَخْرَجُـونا جَمِـيعًا * عَنْ رُتْبَـةِ الإنْسانِ
وسَوْفَ تَقْضِى عليهم * طَبائِـعُ العُمْـرانِ (١)
فيُصْبِحُ الشَّرْقُ غَرْبًا * ويَسْـتَوِى الخافِقـانِ (٢)
لاهُـمَّ جَـدِّدْ قُـوانا * لِخِـدْمَةِ الأَوْطَـانِ (٣)
فنَحْنُ فى كُلِّ صُقْعٍ * نَشْكُو بكُلِّ لِسانِ (٤)
يا قومَ إنجيلِ (عِيسَى) * وأُمَّـةَ القُـرآنِ
لا تَقْتُلوا الدهرَ حِقْدًا * فالمُـلْكُ للدَّيَّانِ

ليـلى :

إنِّى أَرَى مِنْ بَعِيـدٍ * جَماعَـةً مُقْبِلِينَـا
لَعَـلَّ فيهِـمْ نَصِـيرًا * لَعَـلَّ فيهِـمْ مُعِينـا

العـربىّ :

هَوِّنْ عليكَ، تَماسَكْ * إنِّى سَمِعْتُ أَنِينَـا (٥)
أَظُنُّ هَـذَا جَرِيحًـا * يَشْكُو الأَسَى أَوْ طَعِينـا
باللهِ ماذا دَهَـاهُ * يا هَـذه خَـبِّرِينـا؟

(١) يريد « بطبائع العمران » : سُنَنه فى الترقى من حسن إلى أحسن ، كما يدل عليه البيت الآتى .
(٢) الخافقان : المشرق والمغرب . (٣) لاهم ، أى اللهم .
(٤) الصقع (بالضم) : الناحية ، والجمع أصقاع . (٥) تماسك : تمالك .

ليـــلى :

لقـد دهتـهُ المنـايا * مِنْ غارة الخائنينـا
صَبُّوا علينـا الرَّزايا * لَمْ يتَّقُـوا اللهَ فينـا
خَفِّفُـوا مِنْ أذاهُ * إنْ كنـتمُ فاعلينـا

العـــربيّ :

لا تيـأسي، وتجمَّـلِـي * أراكِ شهمًا رَكينـا[1]
أبشِـرْ فإنكَ ناجٍ * واصبِرْ مع الصّابرينا

الطبيب :

أواه إنّي أراهُ * بالموت أمسَى رهينـا
جراحُـه بالغـاتٌ * تُعْيِي الطّبيبَ الفَطينـا
وعَنْ قريبٍ سيَقْضِي * غَضَّ الشّبابِ حَزينـا[2]

العـــربي :

أفٍّ لقـومٍ جبـاعٍ * قـد أزْعَجُـوا العالَمينـا
قِـراهُمُ أين حَلُّوا * ضَرْبٌ يَقُـدُّ المُتُـونا[3]
عَقُـوا المُروءَةَ هَـدُّوا * مَفاخِـرَ الأوَّلينـا
عاثُوا فَسـادًا وفَـرُّوا * يَسْتَعْمِلُونَ السُّـفينـا[4]

(١) الركين : الرزين . (٢) يقضي يموت . (٣) القِـرى : ما يقدم للضيف . ويقُـدّ : يقطع . والمتون : الظهور ؛ الواحد : متن . (٤) السفين : السفن ؛ الواحدة سفينة .

وألبسوا الغرب خزيًا * فى قرنه العشرينا

وأجمعوا كل داعٍ * وأخرجوا المصلحينا

فيا (أربة) مهلًا * أين الذى تدّعينا

ما ذا تريدين منّا * والداءُ أمسى دفينا

أين الحضارة إنّا * بعيشنا قد رضينا

لم نؤذِ فى الدهر جارًا * ولم نخاتل خدينا (١)

(مسرّة) الشام إنّا * إخوانكم ما خئينا (٢)

ثقوا فإنّا وثقنا * بكم وجئنا قطينا (٣)

إنّا نرى فيك (عيسى) * يدعو إلى الخير فينا

قربت بين قلوب * قد أوشكت أن تبينا (٤)

فانت فخر النصارى * وصاحبُ المسلمينا

البحر :

رأيتُ يأسَ طبيبي * وهمّه فى فؤادى

لا تنددينى فإنّى * أقضى وتحيا بلادى

---

(١) لم نخاتل : لم نخادع . والخدين : الصاحب .

(٢) مسرة الشام : مطران كبير لطائفة الروم الأرثوذكس من أسرة مسرة المعروفة ببيروت ، وكان يعنى بالجرحى فى هذه الحادثة .

(٣) القطين : أهل الدار المقيمون بها . يريد أن المسلمين والنصارى أهل وطن واحد فى تلك البلاد .

(٤) تبين : تنفصل .

العـــربى :

أَســـتَوْدِعُ اللهَ شَهْمًا * نَدْبًا طَـوِيلَ النِّجَادِ (١)

أَسْـــتَودِعُ اللهَ رُوحًا * كانَتْ رَجاءَ البِـــلادِ

فيـا شَهِيـدًا رَمَتْـــهُ * غَدْرًا كُرَاتُ الأَعادِى

نَمْ هانِئًـا مُطْمَـــئِنًّا * فســلَمْ تَنَمْ أَحْقَـادِى

فَسَـوْفَ يُرْضِـيكَ ثَأْرٌ * يُذِيبُ قَلْبَ الجَـمَادِ

استقبال الطيار العثمانى فتحى بك

نشرت فى سنة ١٩١٤ م ويلاحظ أن هذه القصيدة كانت قد أعدت لاستقبال الطيار المذكور، فسقطت به طائرته، ومات قبل إتمام رحلته الى مصر، فرأى حافظ من الوفاء نشر هذه القصيدة بعد موته لتكون له حيا وميتا

أَهْـــلًا بِاوَّلِ مُسْـــلِمٍ * فى المَشْرِقَيْنِ عَـلَا وَطَـارْ

النِّيـــلُ والبُسْـــفُورُ فِيـ * ـكَ تَجاذَبَا ذَيْـــلَ الفَخَارْ (٢)

يـومَ اسْتَطَيْتَ بُراقَـكَ الـ * ـمَيْمُونَ وَاجْـتَزْتَ القِفارْ (٣)

تَلْهُـــو وتَعْبَثُ بالـــرِّيَا * حِ عـلى المَفـاوِزِ والبِحارْ (٤)

---

(١) الندب : الذى اذا ندب إلى الحاجة خف لقضائها . والنجاد : حامل السيف . وطول النجاد : كناية عن طول القامة .

(٢) كنى «بالنيل والبسفور» عن مصر وتركيا .

(٣) البراق : الدابة التى ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج . شبه الشاعر طائرة فتحى بك بها فى سرعتها ويمنها .

(٤) المفاوز : جمع مفازة، وهى الفلاة الواسعة التى لا ماء فيها .

لو سابقتك سوابق الـ * ـأفكار أدركها العثار (١)

حسدتك فى الأفق البرو * ق وغار فى الأرض البخار (٢)

تجرى بسابحة تشق * سبيلها شق الإزار (٣)

وتكاد تقدح فى الأثير * بر فيستحيل الى شرار

مثل الشهاب انقض فى * آثار عفريت وثار (٤)

فإذا علت فكدعوة الـ * ـمضطر تخترق الستار (٥)

وإذا هوت فكما هوت * أنثى العقاب على الهزار (٦)

وتسف آونة وآ * ونة يجيد بها الزوار (٧)

فيخالها الراءون قد * قرت وليس بها قرار

لعب الجواد أقل لبـ * ـثا من قضاعة أو نزار (٨)

---

(١) يصفه فى هذا البيت بالسرعة حتى إنه يسبق الفكر فيما يخطر به من خواطر .

(٢) كنى «بالبخار» عن القوارير البخارية .

(٣) يريد بالسابحة : الطائرة ، شبهها بالسفينة السابحة فوق الماء ، وشبه اختراقها الفضاء بشق الثياب .

(٤) شبه الطائرة فى سرعتها بالشهاب الذى كان يرسل على كل من يحاول استراق السمع من الجن .

(٥) شبهها بدعوة المضطر ، لما روى فى الآثار من أنها ليس بينها وبين الله حجاب ، فهى تخترق الآفاق من غير أن يحول بينها وبين الصعود حائل . ويريد «بالستار» : حجاب السماء . (٦) هوت : هبطت . والعقاب : طائر من الجوارح تسميه العرب الكاسر . والهزار (بالفتح) : عصفور صغير متنوع الصوت ؛ ويقال له : العندليب . (٧) تسف : تدنو من الأرض ؛ يقال : أسف الطائر إذا دنا من الأرض حتى كادت رجلاه تصيبانها . والازورار : الانحراف .

(٨) أقل : حمل . وكنى بقوله : «لبثا من قضاعة أو نزار» عن كون الفارس عربيا . يقول : إن هذه الطائرة تلعب فى سيرها فرحا ونشاطا كما يلعب الجواد بفارسه العربى . وقضاعة ونزار : قبيلتان معروفتان .

أو كالنُّعُوبِ مِنَ الحَمَا * يِيمِ فَوْقَ مَلْعَبِهِ اسْتَطَارْ

وَكأنَّها فى الأفْقِ حِي * نَ يَمِيلُ مِيزانُ النَّهَارْ (١)

والشَّمسُ تُلْقِي فَوْقَها * حُلَلَ اصْفِرارٍ واحْمِرارْ

مَلِكٌ تُمَثِّلُهُ لنا (السِّيما) فيأخُذُنا ائْتِهارْ

(فَتْحِى) بِرَبِّكَ ما رَأَيْـ * ـتَ بِذلِكَ الفَلَكِ المُدارْ

أبَلَغْتَ تَسْبِيحَ المَلا * ئِكِ أو دَنَوْتَ مِنَ السِّرارْ (٢)

أمْ خِفْتَ تِلكَ الرَّاصِدا * تِ هُنالِكَ مِنْ شُهُبٍ وَنارْ (٣)

أرأيتَ سُكَّانَ النُّجُو * مِ وأنتَ فى ذاكَ الجِوارْ

أهُنالِكَ فى (المِرِّيخِ) ما * فى الأرْضِ مِن عِلَلِ الشِّجارْ (٤)

أهُنالِكَ يَسْتَعْدِى الضَّعِيـ * ـفُ على القَوِيِّ فلا يُجارْ (٥)

ما لِابنِ آدمَ زادَ فى * غُلَوائِهِ فطَغَى وجارْ (٦)

يالَيْتَ شِعْرِى هَلْ لَهُ * فى عالَمِ المَلَكُوتِ ثارْ (٧)

---

(١) ميلان ميزان النهار : كناية عن زوال الشمس عن وسط السماء وميلها الى جهة المغرب .

(٢) السرار (بالكسر) : مصدر سارّه (بتشديد الراء) . ويريد به هنا : مناجاة سكان السماء . يقال : سارّ فلان فلانا بسارّه : اذا ناجاه وأعلمه بسره . يسأل الطيار هل بلغ بطائرته من العلو إلى حيث يسمع مناجاة الملائكة فى السماء .

(٣) الراصدات : الشهب التى أعدّها الله للجن حين كانت تسترق السمع من السماء ، قال تعالى حكاية عن الجن : (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) .

(٤) الشجار : النزاع والخصام .

(٥) يقال : استعديت الأمير على فلان فأعدانى ، أى استصنت به عليه فأعاننى وأنصفنى منه .

(٦) الغلواء (وتسكن اللام) : التمادى . والمراد هنا : التمادى فى الأمل والطموح .

(٧) الثار : الثأر ، وسهلت الهمزة للشعر .

أم لاذَ مُعْتَصِمًا بكُرْ * سِيِّ المُهَيْمِنِ واستَجارْ

فاستَلَّ مِنْ قَلْبِ الجَما * دِ الصُّلْبِ أَجْنِحَةً وَطارْ (١)

وتَسَلَّقَ الأَجْواءَ ثُمْ * تَعْطَّى عَواصِفَها وسارْ

يَرْجُو النَّجاءَ مِنَ المَظا * لِمِ والمَغارِمِ والدِّمارْ (٢)

يأْتِيها الطَّيّارُ طِرْ * فإذا بَلَغتَ مَدَى المَطارْ (٣)

فزُرِ السُّهَا والفَرْقَدَيْـ * ـنِ إذا أُتيحَ لكَ المَزارْ (٤)

وسَلِ النُّجومَ عنِ الحَيا * ةِ ففي السُّؤالِ لكَ اعتِبارْ

هُمْ يُنْبِئُونَكَ أنَّ كُلَّ الكائِناتِ إلى بَوارْ (٥)

والظُّلْمُ مِنْ طَبعِ النُّظا * مِ فإنْ ظُلِمْتَ فلا تُمارْ (٦)

إنَّ الَّذِي بَرَأَ السَّدِيـ * ـمَ هو الَّذِي بَرَأَ الغُبارْ (٧)

فى العالَمِ العُلْوِيِّ والـ * ـسُّفْلِيِّ أحكامٌ تُدارْ

خُلِقَ الضَّعِيفُ لخِدمةِ الـ * ـأَقْوَى وليس له خِيارْ

فتَقَوَّ يَرْهَبْكَ القَوِ * ىُّ وهُنْ يُلازِمْكَ الصَّغارْ (٨)

---

(١) استل : انتزع . (٢) الدمار : الهلاك . (٣) مدى المطار : غايته .

(٤) السها : كوكب خفى لبعده ، وهو فى بنات نعش الصغرى . والفرقدان : نجمان يهتدى بهما .

(٥) البوار : الهلاك والدمار . (٦) ماراه يماريه مماراة : جادله ونازعه . يقول لا تنازع فى ظلم وقع عليك ولا تتبرم به ، فان تدبير العالم ونظامه يقتضيان وجود ظالم ومظلوم وقوى وضعيف .

(٧) برأ : خلق . والسديم : الضباب الرقيق .

(٨) هان يهون : ذل ، والصغار : الذل .

فى الأرض ما تبغون من * عز وآمال كبار
فيها الحديد وفيه بأ * س يوم يمتهن الدمار (١)
فيها الكنوز الحافلا * ت لمن تبصر وآستنار
منها استمد قواه من * قهر الممالك وآستعار (٢)
وبما احتوت ردّ الحصيـ * ـف الرأي غارة من أغار (٣)
فى ذمة الآفاق سر * وآرجع إلى تلك الديار (٤)
واجعل تحيتنا إلى * بلد به لملكك دار (٥)
دار عليها للخلا * فة والهدى رفع المنار
دار الغزاة الفائحيـ * ـن من الصفوة الغر الخيار
فى كل حاضرة لهم * غزو ففتح فانتصار
ضربوا الزمان بسوط عز * تهم فلان لهم قدار (٦)
يمشون فى ظاب القنا * مشى المترنح بالعقار (٧)

(١) الدمار (بالكسر) : ما يلزمك حفظه وحمايته . يقول : إن فى الأرض من الحديد ما تتخذ منه أسلحة تعز بها وتدفع كل من يحاول أن يمتدى علينا وينتهك من حرماتنا . (٢) « استعار » : معطوف على « استمد » ، أى استعار منها قوته وبأسه . (٣) حصيف الرأى : جيده ومحكمه وسديده .
(٤) يريد « بالدار » : بلاد تركيا موطن الطيار . (٥) يريد « بالبلد » : الآستانة مقر الخلافة .
(٦) دار » أى دار الزمان لهم بما يشتهون . يقول : إنهم بما لديهم من عزة ومنعة قهروا الزمان على أن يواتيهم بما شاءوا . (٧) القنا : الرماح ؛ الواحدة قناة . شبهها بالظاب فى كثرتها واشتباك بعضها ببعض . والعقار (بالضم) : الخمر . والمترنح بها : الذى يتمايل فى مشيته سكرا ، شبه الجنود وقد مشوا بنشوة الفرح بالقتال ، بشارب الخمر المترنح سكرا .

مِنْ كلِّ أَرْوَعَ فاتِكٍ (١) * لا يَسْتَثِيرُ سِوَى الفِرارْ

ذِى مِرَّةٍ تُثْنِيجِيه ذا (٢) * تُ النَّقْعِ لا ذاتُ الخِمارْ

يَغْشَى المَعامِيعَ ضارِباً (٣) * بِحَياتِه ضَرْبَ القِمارْ

لا يَنْثَنِي أو تَخْرُجَ الـ (٤) * أَبْرامُ عَنْ فَلَكِ المَدارْ

عَبَسَتْ لهُمْ أيّامُهُمْ (٥) * والعَبْسُ يَعْقُبُهُ ٱفْتِرارْ

ما عابَهُمْ أنّ الصُّعُو * دَ يَلِيهِ فى الدَّهْرِ ٱنْحِدارْ

فلِكُلِّ غادٍ رَوْحَةٌ (٦) * ولِكُلِّ وُضّاءٍ سِرارْ

ولَسَوْفَ يَعْلُو نَجْمُهُمْ (٧) * ويَسُودُ ذَيّاكَ الشِّعارْ

---

(١) الأروع : هو الذى يعجبك بشجاعته ومنظره . والفرار (بالكسر) : حدّ السهم والرمح والسيف .

(٢) المرة : قوة الخلق (بضم الخاء) ورشدته واستحكامه . وذات النقع : الحرب لما تثيره من النقع ، وهو الغبار . والخمار (بالكسر) : ما تغطى به المرأة وجهها . يقول : إن الحرب تطرب هذا الفارس وتشوقه أكثر مما تشوقه النساء بجمالهن .

(٣) المعامع : الحروب ؛ الواحدة : معمعة . يقول : إن هذا الفارس يدخل الحرب مقامرا بحياته وسواء لديه أخسرها أم كسبها .

(٤) يصفه بالثبات والإقدام وأنه لا يرجع عن غايته حتى تخرج الكواكب عن أفلاكها فى الدوران .

(٥) العبس : العبوس . والافترار : التبسم والضحك الحسن .

(٦) الوضاء (بضم الواو وتشديد الضاد) : البهيج الحسن ؛ يريد البدر . والسرار (بكسر السين) : الليلة التى يستسر فيها القمر ، أى يختفى ، وذلك لا يكون إلا فى آخر الشهر ، وربما كان ليلة ، وربما كان ليلتين . وكنى بذلك عما يتهى اليه كل نضرة وجمال من بلى وذهاب .

(٧) يريد « بالشعار » : الهلال ، وكان شعار الدولة العثمانية .

إلى معتمد بريطانيا فى مصر

قالها عند تعيين معتمد جديد لبريطانيا، وهو السر مكماهون

[نشرت فى يناير سنة ١٩١٥ م]

أيْ (مَكْمَهُونُ) قَدِمْتَ بالْـ * ـقَصْدِ الحميدِ وبالرِّعايَهْ

ما ذا حَمَلْتَ لنا عَنِ الْـ * ـمَلِكِ الكبيرِ وعن (غِرايَهْ)؟ (١)

أَوْضِحْ (لِمِصْرَ) الفَرْقَ ما * بَيْنَ السِّيادَةِ والحِمايَهْ

وأَزِلْ شُكُوكًا بالنُّفُو * سِ تَعَلَّقَتْ مُنْذُ البِدايَهْ

ودعِ الوُعُودَ فإنَّها * فيما مَضَى كانتْ رِوايَهْ

أَمْحَتْ رُبُوعَ النِّيلِ سَلْـ * ـطَنَةً وقد كانَتْ وِلايَهْ

فَتَعَهَّدُوها بالصَّلا * حِ وأَحْسِنُوا فيها الوِصايَهْ

إنَّا لَنَشْكُو واثِقِي * نَ بعَدْلِ مَنْ يُشْكَى الشَّكايَهْ (٢)

نَرْجُو حَياةً حُرَّةً * مَضْمُونَةً فى ظِلِّ رايَهْ

ونَرُومُ تَعْلِيمًا يَكُو * نُ له مِنَ الفَوْضَى وِقايَهْ

ونَوَدُّ ألَّا تَسْمَعُوا * فينا السِّعايَةَ والوِشايَهْ

أنتمْ أَطِبَّاءُ الشُّعُو * بِ وأَنْبَلُ الأُقْوامِ غايَهْ

---

(١) غرايه، يريد السير إدوارد غراى، وزير خارجية انجلترا إذ ذاك.

(٢) يقال: أشكيت فلانا، إذا قبلت شكواه، وأرضيته وأزلت شكايته.

أنّى حَلَلْتُمْ فى البِلا * دِ لكمْ مِنَ الإصْلاحِ آيَهْ
رَسَخَتْ بِنايَةُ مَجْدِكُمْ * فَوْقَ الرَّوِيَّةِ والهِدايَهْ (١)
وعَدَلْتُمُ فَمَلَكْتُمُ الـ * ـدُّنْيا وفى العَدْلِ الكِفايَهْ
إنْ تَنْصُرُوا المُسْتَضْعَفِيـ * ـنَ فنَحْنُ أَضْعَفُهُمْ نِكايَهْ
أو تَعْمَلُوا لِصَلاحِنا * فَمَدارُكُوه إلى النِّهايَهْ
إنّا بَلَغْنا رُشْدَنا * والرُّشْدُ تَسْبِقُه الغَوايَهْ
لَا تَأْخُذُونا بالكَلا * مِ فلَيْسَ فى الشَّكْوَى جِنايَهْ
هَذا (حُسَيْنٌ) فَوْقَ عَرْ * شِ (النِّيلِ) تَحْرُسُه العِنايَهْ
هُوَ خَيْرُ مَنْ يَبْنِي لنا * فَدَعُوه يَنْهَضْ بالبِنايَهْ

إلى غليوم الثانى امبراطور ألمانيا

قالها بنكر عليه إثارته الحرب العظمى وما ارتكبه فيها من الفظائع

[نشرت فى بنايرسنة ١٩١٥ م]

لله آثارٌ هُناكَ كَرِيمَةٌ * حَسَدَتْ رَوائِعَ حُسْنِها (بِرْلِينُ) (٢)
طاحَتْ بها تِلْكَ المَدافِعُ تارَةً * لمّا أَمَرْتَ وتارةً (زِبْلِينُ) (٣)

---

(١) يصف فى هذا البيت الانجليز بأنهم أسسوا مجدهم على التأنى فى الأمور، واتباع سواء السبيل .

(٢) يريد آثار الحضارة فى فرنسا وغيرها من الممالك التى خربها الألمان فى الحرب العظمى .

(٣) طاحت بها، أى محتها . وزبلين : يريد نوعا من الطائرات سمى باسم مخترعه ، وهو الكونت زبلين الألمانى .

ما ذا رأيتَ مِنَ النَّبَالة والعُلا * فى صُدْيهِنَّ وكُلُّهُنَّ عُيُونُ (١)

لو أنّ فى (برلين) عِنْدَكَ مِثْلَها * لعرفتَ كيف تُجِلُّها وتَصُونُ

إنْ كنتَ أنتَ هَدَمْتَ (رِمْسَ) فإنّه * أَوْدَى يَجِدِكَ رُكْنُها المَوْهُونُ (٢)

لَمْ يُغْنِ عنها مَعْبَدٌ خَرَّبْتَه * ظُلْمًا ولَمْ يُمْسِكْ عِنانَكَ دِينُ

لا تَحْسَبَنَّ الفَخْرَ ما أَحْرَزْتَه * الفَخْرُ بالذِّكْرِ الجَمِيلِ رَهِينُ

هلْ شِدْتَ فى (برلين) غيرَ مُعَسْكَرٍ * قامَتْ عليه مَعاقِلٌ وحُصُونُ

وجَمَعْتَ شَعْبَكَ كلَّه فى قَبْضَةٍ * إنْ لَمْ تَكُنْ لانَتْ فسَوْفَ تَلِينُ

نَظَمَتْ تِجارَتُكَ المَدائِنَ والقُرَى * (فالنِّيلُ) ناءَ بها وناءَ (السِّينُ) (٣)

فبكُلِّ أَرْضٍ مِنْ رِجالِكَ عُصْبَةٌ * وبكلِّ بَحْرٍ مِنْ لدُنْكَ سَفِينُ

تَسْرِى وتَسْرُكَ أَيْنَ لُحْنَ يُظِلُّها * لا اللَّيْثُ يُزْعِجُها ولا التِّنِّينُ (٤)

فالأَمْرُ أمرُكَ والمُهَنَّدُ مُغْمَدٌ * والنَّهْىُ نَهْيُكَ والسُّرَى مَأْمُونُ (٥)

---

(١) عدمهن ، أى فقدانهن وذهابهن .

(٢) رمس : مدينة فرنسية مشهورة بكنيستها التاريخية ، وقد خربها الألمان بمدافعهم فى الحرب الأخيرة ، ثم جددت بعد انتهائها . والموهون : الذى أدركه الوهن ، وهو الضعف والانحلال . يقول : إن اعتداءك على هذا البلد أظهرك بمظهر المخرب فانهدم بذلك ما بنيته من مجد وفخر .

(٣) يقال : ناء بالحمل ، إذا أثقله ولم يقدر على حمله . والسين : نهر بفرنسا معروف .

(٤) يريد « بالنسر » : الراية الألمانية . والليث : إشارة إلى بريطانيا . والتنين : إشارة إلى اليابان . والمعنى أن سفن التجارة الألمانية تسير مظللة براية دولتها ، فلا تقدر أية دولة مهما عظمت أن تعوقها عن سبيلها .

(٥) المهند : السيف . والمعنى أن الأمر والنهى كلاهما لك فى أيام السلم .

قد كان فى (برلين) شعبك وادعاً * يستعمر الأسواق وهى سكون[1]

فتحت له أبوابها فسبيلها * وقف عليه ورزقه مضمون

فعلام أرهقت الورى وأثرتها * شعواء فيها للهلاك فنون؟[2]

تالله لو نصرت جيوشك لانطوى * أجل السلام وأقفر المسكون

ستبعون مليونا إذا وزعتها * بين الحواضر تالنا مليون

ويل لمن يستعمرون بلاده * القحط أيسر خطبه والهون[3]

أكثرت من ذكر الإله تورعا * وزعمت أنك مرسل وأمين

عجبا أتذكره وتملأ كونه * ويلا لينعم شعبك المغبون

وكذلك القصاب يذكر ربه * والنصل فى عنق الذبيح دفين

---

(١) الوادع : الساكن المطمئن . ويستعمر، يريد : يعمر . والذى وجدناه فى كتب اللغة أنه يقال : أعمره المكان واستعمره فيه ، أى جعله يعمره . وفى التنزيل العزيز : (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)، أى أذن لكم فى عمارتها . ولم نجد فى كتب اللغة ما شاع استعماله بين كتاب العصر من قولهم : استعمرت المكان (بالبناء للفاعل) بمعنى عمرته .

(٢) أرهقت الورى : ظلمتهم وحملتهم ما لا يطيقون . وشعواء، يريد غارة شعواء أى عامة شاملة .

(٣) الهون (بضم الهاء) : الذل .

الحـــرب العظمى

[نشرت فى ١٥ يوليه سنة ١٩١٥ م]

لاهُمَّ إنَّ الغَرْبَ أَصْبَحَ شُعْلَةً * مِنْ هَوْلِها أُمُّ الصَّواعِقِ تَفْرَقُ (١)

العِلْمُ يُذْكِى نارَها وتُثيرُها * مَدَنِيَّـةٌ خَـرْقاءُ لا تَتَرَفَّـقُ (٢)

ولقد حَسِبْتُ العِلْمَ فينا نِعْمَةً * تَأْسو الضَّعيفَ ورَحْمَةً تَتَدَفَّقُ (٣)

فإذا بِنِعْمَتِـهِ بَـلاءٌ مُرْهِـقٌ * وإذا بِرَحْمَتِـهِ قَضـاءٌ مُطْبِـقُ (٤)

عَجَـزَ الرُّماةُ عن الرُّماةِ فأَرْسَلُوا * كِسَفًا يَمُوجُ بها دُخانٌ يَخْنُـقُ (٥)

تَتَعَوَّذُ الآفاقُ منـــه وتَتَّقِي * عَنْـهُ الرِّياحُ ويَتَّقِيـهِ الفَيْلَقُ (٦)

وتَسابَقُوا بالكِيمياءِ فأَسْـرَفُوا * وتساجَلُوا بالكَهْرَباءِ فأَغْرَقُوا (٧)

وتَنازَلُوا فى الجَوِّ حين بَدَا لَهُمْ * أنَّ البَسيطَةَ عَنْ مَداهُمْ أَضْيَقُ

تَفِسُوا على الحِيتانِ واسعَ مُلْكِها * فتَفَنَّنُـوا فى سَـلْبِه وتَأَنَّقُـوا (٨)

مَلَكُوا مَسابِحَها عليْهـا بَعْدَ ما * غَلَبُوا النُّسُورَ على الجَواءِ وحَلَّقُوا (٩)

إنْ كانَ عَهْدُ العِلْمِ هَذا شَأْنُه * فينا فعَهْـدُ الجاهِلِيَّـةِ أَرْفَـقُ

---

(١) لاهم ، أى اللهم . وتفرق : تخاف وتفزع . (٢) يذكى نارها : يشعلها . والخرقاء : الحمقاء . ويشير الى أن العلم فيما أوجد من مخترعات مهلكة فى الحرب . (٣) تأسو الضعيف ، أى تعمل على تقويته وتعالج ضعفه . (٤) مطبق : عام شامل . (٥) يريد « بالكسف » : قطع الدخان من النازات السامة التى استعملت فى الحرب أخيرا ، شبهها بكسف السحاب ، أى قطعه ؛ الواحدة كسفة . (٦) الفيلق : الجيش العظيم . (٧) التنابل : الرامى بالنبل . يشير إلى استعمال المواد الكيمائية وتسخير الكهرباء فى الإهلاك والتدمير . (٨) نفس عليه الشىء : حسده عليه ولم يره أهلا له . (٩) الجواء : جمع جو . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله إلى استخدام الغواصات والطائرات فى الحروب .

مظاهرة السيدات

قالها فى مظاهرة قامت بها السيدات فى الثورة الوطنية فى سنة ١٩١٩ م

ونشرت إذ ذاك فى منشورات وطنية ، وتأخر نشرها فى الصحف إلى ١٢ مارس سنة ١٩٢٩ م

خَـرَجَ الغَـوانِى يَحْتَجِجْـ * ـنَ ورُحْتُ أَرْقُبُ جَمْعَهُنْ

فإذا بِهِنَّ تَخِـذْنَ مِنْ * سُـودِ الثِّيـابِ شِـعارَهُنْ

فَطَلَعْنَ مِثْلَ كَواكِبٍ * يَسْطَعْنَ فى وَسَطِ الدُّجُنْ[1]

وأَخَذْنَ يَخْتَرْنَ الطَّرِيـ * ـقَ ودارُ (سَعْدٍ) قَصْدُهُنْ

يَمْشِينَ فى كَنَفِ الوَقا * رِ وقـد أَبَنَّ شُعُورَهُنْ

وإذا بِجَيْـشٍ مُقْبِـلٍ * والخَيْـلُ مُطْلَقَـةُ الأَعِنَّـهْ

وإذا الجُنـودُ سُيُوفُهـا * قـد صُوِّبَتْ لنُحُورِهِنَّـهْ

وإذا المَـدافِـعُ والبَنـا * دِقُ والصَّـوارِمُ والأَسِـنَّهْ[2]

والخَيْـلُ والفُـرسانُ قَـدْ * ضَرَبَتْ نِطاقًا حَوْلَهُنَّـهْ

والـوَرْدُ والرَّيْحَانُ فى * ذاكَ النَّهـارِ سِـلاحُهُنَّهْ

فَتطاحَنَ الجَيْشانِ سا * عاتٍ تَشِيب لها الأَجِنَّـهْ

فَتَضَعْضَعَ النِّسْـوانُ والنِّسْـوانُ ليس لهنَّ مُنَّـهْ[3]

ثم انْهَـزَمْنَ مُشَتَّتا * تِ الشَّمْلِ نَحْوَ قُصورِهِنَّهْ

---

(١) الدجنة : الظلمة . (٢) الصوارم : السيوف القواطع . (٣) المنة : القوة .

فليهنأ الجيش الفخو * ر بنصره وبكسرهنّه
فكأنما الألمان قد * لبسوا البراقع بينهنّه
وأتوا (بهندنبرج)[1] محـ * ـتفيا بمصر يقودهنّه
فلذاك خافوا بأسهن * واشفقوا من كيدهنّه

أياصوفيا[2]

قالها حين خيف على الآستانة أن تملكها دول الحلفاء وتنزعها من يد الأتراك
وذلك عقب الحرب العظمى، وكانت جيوش تلك الدول قد احتلت هذه المدينة

[وتأخر نشر هذه القصيدة الى سنة ١٩٣٢ م]

(أياصوفيا)[3] حان التفرّق فاذكري * عهود كرام فيك صلّوا وسلّموا
اذا عُدّيت يوما للصليب وأهله * وحلّ نواحيك المسيحُ ومريمُ[4]
ودُقّت نواقيس وقام مُزمّرٌ * من الروم في محرابه يترنّمُ
فلا تُنكري عهد المآذن إنه * على الله من عهد النواقيس أكرمُ

---

(١) هندنبرج، هو القائد الألماني المعروف في الحرب العظمى.

(٢) يلاحظ أننا راعينا في وضع هذه القصيدة تاريخ قولها لا تاريخ نشرها، لأن مراعاة ذلك أجدى على مؤرخ الأدب.

(٣) أياصوفيا: أعظم مسجد في القسطنطينية، وكان قبل الفتح العثماني الكنيسة الأولى في الشرق فتولها العثمانيون مسجدا.

(٤) يريد صورتي عيسى ومريم اللتين توضعان في الكنائس عادة.

تَبارَكْتَ، (بَيْتُ القُدْسِ) جَذْلانُ آمِنٌ * ولا يَأْمَنُ (البَيْتَ العَتِيقَ) المُحَرَّمُ (١)

أيُرْضِيكَ أنْ تَغْشَى سَنابِكُ خَيْلِهِمْ * حِماكَ وأنْ يُمْنَى (الحَطِيمُ) و(زَمْزَمُ)؟ (٢)

وكيف يَذِلُّ المُسْلِمُونَ وبَيْنَهُمْ * كِتابُكَ يُتْلَى كلَّ يَوْمٍ ويُكْرَمُ؟

نَبِيُّكَ مَحْزُونٌ وبَيْتُكَ مُطْرِقٌ * حَياءً وأنْصارُ الحَقِيقَةِ نُوَّمُ

عَصَيْنا وخالَفْنا فعاقَبْتَ عادِلًا * وحَكَّمْتَ فينا اليومَ مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُ

مصر

أنشدها في الحفل الذي أقيم بفندق الكونتنتال لتكريم المرحوم عدلي يكن باشا بعد عودته من أوربا فاتحا المفاوضة مع الانجليز ومستقيلا من الوزارة . نشرت في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢١م

وهذه القصيدة على لسان مصر تتحدث عن نفسها

وَقَفَ الخَلْقُ يَنْظُرُونَ جَمِيعًا * كيفَ أبْنِي قَواعِدَ المَجْدِ وَحْدِي

وبُناةُ الأهْرامِ في سالِفِ الدَّهْـ * ـرِ كَفَوْنِي الكَلامَ عندَ التَّحَدِّي

أنا تاجُ العَلاءِ في مَفْرِقِ الشَّرْ * قِ ودُرَّاتُهُ فَرائدُ عِقْدِي (٣)

أيُّ شَيْءٍ في الغَرْبِ قَدْ بَهَرَ النَّا * سَ جَمالًا ولَمْ يَكُنْ مِنْهُ عِنْدِي؟

---

(١) كنى «ببيت القدس والبيت العتيق» : عن معابد النصارى ومعابد المسلمين . يقول : إن معابد النصارى في فرح وأمن ، ومعابد المسلمين في خوف وفزع . (٢) سنابك الخيل : أطراف حوافرها ؛ الواحد سنبك . ويمنى : يخل ويصاب . والحطيم : ما بين الركن وزمزم والمقام . جعل سقوط الآستانة في يد الإفرنج خطرا يخشى أن يمتد إلى البيت الحرام ، لأن في سقوط الدولة العثمانية سقوطا لولاياتها . (٣) العلاء (بالفتح والمد) : الرفعة والشرف . والمفرق (كمقعد ومجلس) : وسط الرأس . والفرائد : الجواهر التي لا نوائم لها لنفاستها ؛ الواحدة فريدة . ويريد «بدراته» : ممالك الشرق التي كان لمصر الزعامة عليها .

فتُرابي تِبْرٌ ونَهْري فُراتٌ * وسَمائي مَصْقُولَةٌ كالفِرِنْد (١)

أيْنَما سِرْتَ جَدْوَلٌ عِنْدَ كَرْمٍ * عِنْدَ زَهْرٍ مُدَبَّرٍ عِنْدَ رَنْد (٢)

ورِجالي لو أنْصَفُوهُمْ لَسادُوا * مِنْ كُهُولٍ مِلْءِ العُيُونِ ومُرْد (٣)

لو أصابُوا لَهُمْ مَجالًا لأبْدَوْا * مُعْجِزاتِ الذَّكاءِ في كلِّ قَصْد

إنَّهُمْ كالظُّبا أُلِحَّ عليها * صَدَأُ الدَّهْرِ مِنْ تَواءٍ وغِمْد (٤)

فإذا صَيْقَلُ القَضاءِ جَلاها * كُنَّ كالمَوْتِ مالَهُ مِنْ مَرَدّ (٥)

أنا إنْ قَدَّرَ الإلهُ مَماتي * لا تَرَى الشَّرْقَ يَرْفَعُ الرأسَ بَعْدي

ما رَمانِي رامٍ وَراحَ سَلِيمًا * مِنْ قَديمِ عِنايَةِ اللهِ جُنْدي

كَمْ بَغَتْ دَوْلَةٌ عَلَيَّ وجارَتْ * ثُمَّ زالَتْ وتِلْكَ عُقْبَى التَّعَدِّي

إنَّني حُرَّةٌ كَسَرْتُ قُيُودي * رَغْمَ رُقْبَى العِدَا وقَطَّعْتُ قِدِّي (٦)

وتَماثَلْتُ للشِّفاءِ وقَدْ دَا * يْتُ حَيْنِي وهَيَّأَ القَوْمُ لَحْدي (٧)

قُلْ لِمَنْ أنْكَرُوا مَفاخِرَ قَوْمي * مِثْلَ ما أنْكَرُوا مَآثِرَ جُدِّي

هَلْ وَقَفْتُمْ بِقِمَّةِ الهَرَمِ الأكْـ * ـبَرِ يومًا فَرَيْتُمْ بَعْضَ جُهْدي؟ (٨)

---

(١) الفرات : العذب ، والفرند : السيف . (٢) مدبر ، أى مختلف الألوان ، أو مشرق متلألئ . والرند : شجر طيب الرائحة ، وله حب يقال له : الغار . (٣) ملء العيون ، أى تعجبك مناظرهم . والمرد : جمع أمرد ، وهو الشاب نبت شاربه ولم تنبت لحيته . (٤) الظبا : جمع ظبة ، وهى حدّ السيف واللسان ونحوهما . والتواء : طول المكث . (٥) الصيقل : شاحذ السيوف وجاليها ، والجمع صياقل وصياقلة . (٦) رقبى العدا ، أى مراقبتهم لى . والقد : القيد يقدّ من جلد . (٧) الحين (بالفتح) : الهلاك . (٨) فريتم ، أى فرأيتم .

هَلْ رَأَيْتُمْ تلك النُّقُوشَ اللَّواتِي * أَعْجَزَتْ طَوْقَ صَنْعَةِ المُتَحَدِّي؟ (١)

حالَ لَوْنُ النَّهارِ مِنْ قِدَمِ العَهْـ * ـدِ وما مَسَّ لونَها طُولُ عَهْدِ (٢)

هل فَهِمْتُمْ أسرارَ ما كان عِنْدِي * مِنْ عُلُومٍ مَخْبُوءَةٍ طَيَّ بُرْدِي؟ (٣)

ذاكَ فَنُّ التَّحْنِيطِ قد غَلَبَ الدهـ * ـرَ وأَبْلَى البِلَى وأَعْجَزَ نِدِّي

قد عَقَدْتُ العُهودَ مِنْ عَهْدِ فِرْعَوْ * نَ ففِي (مِصْرَ) كان أولُ عَقْدِ (٤)

إنَّ مَجْدِي فى الأوَلِيَّاتِ عَرِيقٌ * مَن له مِثْلُ أُولِيَّاتِي ومَجْدِي؟ (٥)

أنا أُمُّ التَّشْرِيعِ قد أَخَذَ الرُّو * مانُ عَنِّي الأصولَ فى كلِّ حَدِّ (٦)

ورَصَدْتُ النُّجومَ مُنْذُ أَضاءَتْ * فى سَماءِ الدُّجَى فأَحْكَمْتُ رَصْدِي (٧)

وشَدا (بنتئور) فَوْقَ رُبوعِي * قَبْلَ عَهْدِ اليُونانِ أو عَهْدِ (نَجْدِ) (٨)

---

(١) الطوق : الطاقة والجهد . والمتحدى : المعارض الذى ينازعك الغلبة والفخر .

(٢) حال : تغير وتحول . (٣) البردى (بالتشديد وخفف للشعر) : نبات تعمل منه الحصر وكان يصنع منه الورق قديما . (٤) يشير إلى المحالفة التى عقدت بين رمسيس الثانى وملك الحثيين سنة ١٢٥٠ ق م على أن يمسكا عن الحروب ، وأن يكونا صديقين الى الأبد . وقد حددا فى تلك المحالفة حدود أملاكهما ، وهى أقدم محالفة عرفت فى التاريخ .

(٥) الأوليات ، أى السنين الأولى . (٦) يشير الى ما هو معروف من أن المصريين قديما كانوا مصدر القوانين الإدارية ، وعنهم أخذت الأمم المجاورة لهم ، وقد وفد اليهم من واضعى القوانين ليكرغ وصولون اليونانيان ، وعن اليونان أخذ الرومان .

(٧) كان المصريون من أقدم الأمم التى اشتغلت بعلم الفلك ، وقد ذكر مؤرخو اليونان أن أسبقهم أخذت هذا العلم عن المصريين ، وقد عثر فى بعض المقابر على آلات للرصد ومصورات لشكل السماء ومواقع نجومها . (٨) بنتاور : أقدم شاعر عرفه التاريخ ، وهو مصرى . و«قبل عهد اليونان» ... الخ ، أى قبل شعراء اليونان وشعراء العرب .

وقديما بَنَى الأساطيلَ قَوْمِى * فَفَرَقْنَ البحارَ يَمْلِكْنَ بَنْدِى (١)

قَبْلَ أسطُولِ (نلسن) كان أسطو * لِى سَرِيًّا وطالِعِى غيرَ نَكْدِ (٢)

فَسَلُوا البَحْرَ عن بَلاءِ سَفِينِى * وسَلُوا البَرَّ عن مَواقِعِ جُرْدِى (٣)

أتُرانِى وقد طَوَيْتُ حَياتِى * فى مِراسٍ لَمْ أَبْلُغِ اليَوْمَ رُشْدِى ؟

أىُّ شَعْبٍ أَحَقُّ مِنِّى بعَيْشٍ * وارِفِ الظِّلِّ أخضرِ اللَّوْنِ رَغْدِ ؟ (٤)

أمَنَ العَدْلِ أنهم يَرِدُونَ الـ * ـماءَ صَفْوًا وأنْ يُكَدِّرَ وِرْدِى ؟

أمِنَ الحَقِّ أنهم يُطلِقُونَ الـ * ـأسَدَ منهم وأنْ تُقَيَّدَ أُسْدِى ؟

نِصْفُ قَرْنٍ إلّا قليلا أُعانِى * ما يُعانِى هَوانَه كلُّ عَبْدِ

نَظَرَ اللهُ لى فأَرْشَدَ أبنا * ئِى فشَدُّوا إلى العُلَا أىَّ شَدِّ

إنّما الحَقُّ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الدّ * ـيّانِ أمْضَى مِنْ كلِّ أبيَضَ هِنْدِى (٥)

قد وَعَدْتُ العُلا بكلِّ أبِىٍّ * مِن رِجالِى فأَنْجِزُوا اليومَ وَعْدِى

أمهِرُوها بالرُّوحِ فهى عَرُوسٌ * تَشْتَهِى المَهْرَ مِنْ عُرُوضٍ ونَقْدِ (٦)

---

(١) فرقن البحار : شققنها . والبند : العلم الكبير . وقد ذكر المؤرخون أن نخاو من ملوك مصر القدماء ، كان قد أرسل عددا من الملاحين للطواف بسفنهم حول إفريقية ، فأتموا سياحتهم فى ثلاث سنين .

(٢) نلسن ، هو أمير البحر الإنجليزى الذى أحرق أسطول نابليون بونابرت فى موقعة أبى قير المعروفة . والنكد : الشؤم .

(٣) الجرد : الخيل . ويريد بالجيوش البرية .

(٤) الوارف من الظلال : الواسع الممتد .

(٥) الأبيض الهندى : السيف .

(٦) تشتهى : تركه . والعروض : جمع عرض (بالتحريك) ، وهو كل شىء سوى الدراهم والدنانير .

وَرِدُوا بِى مَنَاهِلَ العِزِّ حَتَّى ... يَخْطُبَ النجمُ فى المجَرَّةِ وُدِّى (١)

وَٱرْفَعُوا دَوْلَتِى على العِلْمِ والأَخْـ ... ـلاقِ فالعِلْمُ وَحْدَهُ ليس يُجْدِى (٢)

وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ فالصبرُ إنْ فا ... رَقَ قوماً فما لَهُ مِنْ مَسَدِّ (٣)

خُلُقُ الصَّبْرِ وَحْدَه نَصَرَ القَوْ ... مَ وَأَغْنَى عن ٱخْتِراعٍ وعَدِّ (٤)

شَهِدُوا حَوْمَةَ الوَغَى بِنُفُوسٍ ... صابِراتٍ وأَوْجُهٍ غيرِ رُبْدِ (٥)

فَحَا الصَّبْرُ آيةَ العِلْمِ فى الحَرْ ... بِ وأَنْحَى على القَوِىِّ الأَشَدِّ (٦)

إنّ فى الغَرْبِ أَعْيُنًا راصداتٍ ... كَلَّتْها الأَطْماعُ فيكمْ بِسُهْدِ (٧)

فَوْقَها مِجْهَرٌ يُرِيها خَفايَا ... كُمْ ويَطْوِى شُعاعُهُ كلَّ بُعْدِ (٨)

فٱتَّقُوها بِجُنَّةٍ مِنْ وِئامٍ ... غيرِ رَثِّ العُرَا وسَعْىٍ وكَدِّ (٩)

وٱصْفَحُوا عن هَنَاتِ مَنْ كانَ منكمْ ... رُبَّ هافٍ هَفَا على غيرِ عَمْدِ (١٠)

---

(١) « يخطب النجم ... الخ » : كناية عن العلو والرفعة . (٢) يجدى : ينفع .

(٣) من مسد ، أى من شىء يقوم مقامه . (٤) يريد « بالقوم » : الإنجليز ، وذلك لما اشتهروا به من الصبر والأناة . (٥) الوغى : المعرب ، لما فيها من الجلبة والصوت . وحومتها : ساحتها . وربد : عابسة متجهمة ، الواحد أربد . (٦) يريد « بآية العلم » : ما اخترعه العلم من أسلحة . وأنحى عليه : أقبل عليه بالإضعاف والإهلاك . ويريد « بالقوى الأشد » : الألمان .

(٧) « كلتها الأطماع ... الخ » ، أى إن طمع الغربيين فيكم جعل أعينهم يقظة لا تذوق النوم ، تعنى بكم الفرص . (٨) المجهر : المنظار . (٩) الجنة (بالضم) : ما وقاك فى الحرب . والرث : البالى . ويريد « بالعرا » : الصلات والروابط ، الواحدة عروة . (١٠) الهنات : جمع هنة ، وهى اليسير المحتمل من الزلات . ويشير بهذا البيت إلى اختلاف الزعماء الذى بدأت بوادره فى ذلك الحين على رأسة المفاوضات الرسمية .

نَحْنُ نَجْتَازُ مَوْقِفًا تَعْثُرُ الآ * راءُ فيه وعَثْرَةُ الرأيِ تُرْدِى (١)
وتُثِيرُ الأَهْوَاءَ حَرْبًا عَوَانًا * مِن خِلافٍ والحُلْفُ كالسَّلِّ يُعْدِى (٢)
وتُثِيرُ الفَوْضَى على جانِبَيْهِ * فيُعِيدُ الجَهُولُ فيها ويُبْدِى (٣)
ويَظُنُّ الغَوِىُّ أَنْ لا نِظامٌ * ويَقُولُ القَوِىُّ قد جَدَّ جِدِّى
فقِفُوا فيه وَقْفَةَ الحَزْمِ وارْمُوا * جانِبَيْهِ بعَزْمَةِ المُسْتَعِدِّ
إِنَّنا عند فَجْرِ لَيْلٍ طَوِيلٍ * قد قَطَعْنَاهُ بَيْنَ سُهْدٍ ووَجْدِ
غَمَرَتْنَا سُودُ الأَهَاوِيلِ فيهِ * والأَمانِىُّ بَيْنَ جَزْرٍ ومَدِّ (٤)
وتَجَلَّى ضِياؤُه بَعْدَ لَأْيٍ * وهو رَمْزٌ لعَهْدِىَ المُسْتَرَدِّ (٥)
فاسْتَبِينُوا قَصْدَ السَّبِيلِ وجِدُّوا * فالمَعَالى مَحْطُوبَةٌ للجِدِّ (٦)

تصريح ٢٨ فبراير

[نشرت فى أول ابريل سنة ١٩٢٢ م]

مالِى أَرَى الأَكْمَامَ لا تُفَتَّحُ * والرَّوْضَ لا يَذْكُو ولا يُنَفَّحُ (٧)
والطَّيْرَ لا تَلْهُو بتَنْوِيمِهَا * فى مُلْكِهَا الواسِعِ أَوْ تَصْدَحُ (٨)

---

(١) تردى : تهلك . (٢) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد أخرى ، كأنهم بحلوا الأولى بكرا ، وهى أشد الحروب . (٣) الضمير فى قوله « جانبيه » يعود على قوله « موقفا » المتقدم ذكره . (٤) الأهاويل : جمع أهوال . (٥) بعد لأى ، أى بعد إبطاء واحتباس ومشقة .
(٦) قصد السبيل : الطريق المستقيم . (٧) الأكمام : جمع كم (بكسر الكاف) ، وهو غطاء الزهر . ويذكو : تسطع رائحته . وينفح : يفوح طيبه . ويلاحظ أننا لم نجد فى كتب اللغة « نفح » بتشديد الفاء ، فلعل حافظا رأى هذه الصيغة فى كلام بعض المولدين . (٨) تنويم الطائر : تحليقه فى الهواء . وتصدح : ترفع صوتها بالغناء .

والنِّيلَ لا تَرْقُصُ أمواهُه * فَرَحًا ولا يَجْرِى بها الأَبْطَحُ[1]

والشمسَ لا تُشْرِقُ وُضَّاءَةً * تَجْلُو هُمومَ الصَّدْرِ أو تَنْزِحُ[2]

والبَدْرَ لا يَبْدُو على ثَغْرِه * مِنْ بَسَماتِ اليُمْنِ ما يَشْرَحُ

والنَّجْمَ لا يَزْهَرُ فى أُفْقِه * كأنّه فى غَمْرَةٍ يَسْبَحُ[3]

أَلَمْ يَجِئْها نَبَأٌ جاءَنا * بأنّ مِصْرًا حُرَّةٌ تَمْرَحُ؟[4]

أَصْبَحْتُ لا أَدْرِى على خِبْرَةٍ * أَجَدَّتِ الأَيّامُ أَمْ تَمْزَحُ؟

أَمَوْقِفٌ لِلجِدِّ تَجْتازُه * أَمْ ذاكَ لِلّاهِى بِنا مَسْرَحُ؟

أَلْمَحُ لاسْتِقْلالِنا لَمْعَةً * فى حالِكِ الشَّكِّ فأَسْتَرْوِحُ[5]

وتَطْمِسُ الظُّلْمَةُ آثارَها * فأَنْثَنِى أُنْكِرُ ما أَلْمَحُ

قد حارَتِ الأَفْهامُ فى أَمْرِهِمْ * إنْ نَحْوُا بالقَصْدِ أَوْ صَرَّحُوا[6]

فقائِلٌ لا تَعْجَلُوا إنَّكُمْ * مَكانَكُمْ بالأَمْسِ لم تَبْرَحُوا[7]

وقائِلٌ أَوْسِعْ بها خُطْوَةً * وَراءَها الغايةُ والمَطْمَحُ

وقائِلٌ أَسْرَفَ فى قَوْلِهِ : * هٰذا هُوَ اسْتِقْلالُكُمْ فافْرَحُوا

---

(١) الأمواه : جمع ماء . والأبطح : المسيل الواسع للماء . (٢) وضاءة : ذات حسن وبهجة . وتنزح (من بابى منع وضرب) ، أى تنزح الهم وتفنيه وتذهبه ، وأصله من نزح البئر ، وهو الاستقاء من مائها حتى ينفد أو يقل . (٣) يزهر : يضىء ويتلألأ . ويريد «بالغمرة» : الماء الكثير . (٤) تمرح : من المرح (بالتحريك) ، وهو شدة الفرح . (٥) الحالك : الشديد السواد . واسترواح إلى الشىء : سكون إليه واطمئنان . (٦) الضمير فى «أمرهم» للإنجليز . (٧) لا تعجلوا : أى لا تعجلوا بالفرح وتهنئة بعضكم بعضا بهذا الاستقلال المزعوم ، فإن حالتكم لم يعتريها ما يسر .

إنْ تَسْأَلُوا العَقْلَ يَقُلْ عاهِدُوا * واسْتَوْثِقُوا فى عَهْدِكُمْ تَرْبَحُوا
وأَسِّسُوا دارًا لِتُوَاكُمْ * لِلرَّأْيِ فيها والنُّهَى أَفْسَحُوا (١)
ولْتَذْكُرِ الأُمَّةُ مِيثاقَها * أَلَّا تَرَى عِزَّتَها تُجْرَحُ
وتَنْتَخِبْ صَفْوَةَ أَبْنائِها * فِنْهُمُ المُخْلِصُ والمُصْلِحُ
ولْيَتَّقِ اللهَ أُولُو أَمْرِها * أَنْ يُسْكِتُوا الأَصْواتَ أَوْ يُرْفِحُوا (٢)

* * *

أو تَسْأَلُوا القَلْبَ يَقُلْ حاذِرُوا * وصابِرُوا أَعْداءَكُمْ تُفْلِحُوا (٣)
إِنِّى أَرَى قَيْدًا فلا تُسْلِمُوا * أَيْدِيَكُمْ فالقَيْدُ لا يُسْجَحُ (٤)
إِنْ هَيَّأُوهُ مِنْ حَرِيرٍ لَكُمْ * فهو على لِينٍ به أَفْدَحُ
حَتَّامَ — والصَّبْرُ له غايةٌ — * لَغَيْرِنا مِنْ بِئْرِنا تَمْتَحُ؟ (٥)
حَتَّامَ — والأَمْوالُ مَشْفُوهَةٌ — * تُمْنَحُ إِلَّا (مِصْرَ) ما تُمْنَحُ؟ (٦)
حَتَّامَ يُمْضِى أَمْرَنا غَيْرُنا * وذاكَ بالأَحْرارِ لا يَسْلُحُ؟

(١) يلاحظ أننا لم نجد فيما بين أيدينا من كتب اللغة أنه يقال : أفسحت له فى المكان (بالهمز فى أوله) ، والذى وجدناه أنه يقال : فسحت له فيه . قال تعالى : (فافسحوا يفسح الله لكم) .

(٢) يريد بقوله «يرفحوا» : أنهم يقفون من خالفهم فى سياستهم إلى رفح (بالتحريك) ، وهى مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط معروفة ، كما كانوا يفعلون قبل هذا التصريح .

(٣) صابروا أعداءكم ، أى غالبوهم فى الصبر .

(٤) لايسجح ، أى لايفرج عمن تقيد به ولا يفكه .

(٥) متح الماء من البئر يمتحه متحا : استخرجه منها .

(٦) المشفوه : الذى كثرت عليه الأيدى حتى استنفد .

أَسَاءَ بَعْضُ النَّاسِ فِى بَعْضِهِمْ * ظَنًّا وقد أَمْسَوْا وقَدْ أَصْبَحُوا (١)

فَانْتَهَزَتْ أَعْدَاؤُنَا نُهْزَةً * فِينَا وما كانت لهم تَسْنَحُ (٢)

فالرَّأْىُ كُلُّ الرَّأْىِ أَنْ تُجْمِعُوا * فإنَّما إجْمَاعُكُمْ أَرْبَحُ

وكُلُّ مَنْ يَطْمَعُ فى صَدْعِكُمْ * فإنَّه فى صَخْرَةٍ يَنْطَحُ (٣)

أَخْشَى إذا اسْتَكْثَرْتُمُ بَيْنَكُمْ * مِنْ قَادَةِ الآراءِ أَنْ تُفْضَحُوا

فَلْتَقْصِدُوا ما اسْطَعْتُمُ فيهِمُ * فإنَّما فى القِلَّةِ المَنْجَحُ

عيد الاستقلال

[نشرت فى ١٥ مارس سنة ١٩٢٣ م تحت عنوان : (بين اليقظة والمنام)]

أَشْرِقْ فَدَتْكَ مَشَارِقُ الإصْبَاحِ * وأَمِطْ لِثَامَكَ عن نَهَارٍ ضَاحِ (٤)

بُورِكْتَ يا يَوْمَ الخَلَاصِ ولا وَنَتْ * عنكَ السُّعودُ بِغُدْوَةٍ ورَوَاحِ

باللهِ كُنْ يُمْنًا وكُنْ بُشْرَى لنا * فى رَدِّ مُغْتَرِبٍ وفَكِّ سَرَاحِ (٥)

---

(١) يشير بهذا البيت إلى اختلاف الأحزاب السياسية . وخبر « أمسوا » « وأصبحوا » محذوف للعلم به ، أى أمسوا وأصبحوا يتبادلون سوء الظن واتهام بعضهم بعضا بالخيانة .

(٢) النهزة : الفرصة . وتسنح : تلوح . (٣) يقال : نطح فى صخرة ، إذا صعب عليه ما يريد من صدع وانشقاق . وأصله من قول الأعشى :

كناطح صخـــرة يوما ليوهنها * فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

(٤) أمط لثامك ، أى اكشف قناعك ؛ يخاطب عيد الاستقلال . والنهار الضاحى : المشرق .

(٥) يشير بقوله « فى رد مغترب ... الخ » : الى المغفور له سعد زغلول باشا وكان منفيا إذ ذاك فى جبل طارق بعد أن كان مع صحبه فى جزيرة سيشل .

أقبلتَ والأيّامُ حولَكَ مثلُ * صَفّينِ تخطِرُ خطرةَ المَيّاحِ (١)

وتَرجتَ من عُجبِ الغيوبِ مُحجّلا * فى كلِّ لحظٍ منكَ ألفُ صَباحِ (٢)

لو صحّ فى هذا الوجودِ تناسُخٌ * لرأيتُ فيكَ تناسُخَ الأرواحِ

ولكُنتَ يومَ (اللابرنت) بعينِه * فى عزّةٍ وجلالةٍ وسماحِ (٣)

يومٌ يُريكَ جلالُهُ ورواؤه * فى الحُسنِ قُدرةَ خالقِ الإصباحِ (٤)

خلعَتْ عليه الشمسُ حُلّةَ عسجدٍ * وحباهُ (آذارٌ) أرقَّ وشاحِ (٥)

اللهُ أنبتَه لنا فى لوحِه * أبدَ الأبيدِ فما لَه مِنْ ماحِ (٦)

حَيِّه عنّا يا أزاهرُ وامشِ * أرجاءَه بأريجِك الفوّاحِ (٧)

وانفحْهُ عنّا يا ربيعُ بكلِّ ما * أطلعتَ مِنْ رَندٍ ونَورِ أقاحِ (٨)

يَهْ يا (فؤادُ) فحولَ عرشِكَ أمّةٌ * عقدتْ خناصرَها على الإصلاحِ (٩)

أبناؤنا - وهُمُ أحاديثُ النّدى - * لَبِسُوا على أوطانِهم بشِحاحِ (١٠)

صبَروا على مُرِّ الخطوبِ فأدرَكوا * حُلوَ المُنى معسُولةَ الأقداحِ

---

(١) المياح : المتبختر فى مشيه ، وهو ضرب حسن من المشى . (٢) محجلا : مضيئا . وأصله من التحجيل فى الخيل ، وهو بياض فى قوائمها . (٣) اللابرنت : قصر أمخطب الثانى الذى اشتهر فى قديم الزمان بعظمته ، وكان مقرا للحكومة . وبريد « بيومه » : أيام أمخطب التى كانت كلها خيرا وبركة على مصر . (٤) خالق الإصباح ، هو الله تعالى . (٥) العسجد : الذهب . وآذار : شهر من شهور السنة المسيحية معروف ، تكثر فيه الأزهار . (٦) أبد الأبيد : كناية عن الدوام . (٧) أريج الزهر : رائحته . (٨) الرند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية . والأقاحى : جمع الحوان ، وهو نبات له زهر أبيض ، وأوراق زهره صغيرة مفلجة ، وتشبه به الثغور . (٩) عقد الخناصر على الأمر : كناية عن الإجماع على القيام به . (١٠) الندى : الجود . وشحاح : بخلاء .

شاكى سلاح الصبر ليس بأعزل * يغزوه رب عوامل وصفاح (١)

الصبر - إن فكرت - أعظم عدة * والحق - لو يدرون - خير سلاح

قد أنكروا حق الضعيف فهل أتى * إنكار ذاك الحق فى إصحاح ؟ (٢)

كم خدرت أعصاب مصر نوافح * لو عودهم كنوافح التفاح (٣)

فتعلل المصرى منتبطا بها * أرأيت طفلا علله بداح ؟ (٤)

وتأففوا فى الخلف حتى أصبحت * أقوالهم تذرى بغير رياح (٥)

لما تنبه بالكنانة نائم * وأصات بالشكوى الأليمة صاحى (٦)

وتكشفت تلك الغياهب وانطوت * وبدت شموس الحق وهى ضواحى (٧)

علموا بتحمد الله أن قرارنا * فى ظل غير الله غير مباح (٨)

فاليوم قرى يا كنانة واهدئى * حرم الكنانة لم يكن بمباح

من ذا يغير على الأسود بغابها * أو من يقوم بمسبح النساح ؟

---

(١) شاكى سلاح الصبر ، أى المتسلح به . والعوامل : هى صدور الرماح مما يلى أسنتها ، الواحد عامل وعاملة . والصفاح : السيوف . يقول : إن الصبور متسلح ليس بأعزل يطمع فيه ذوالرمح والسيف .

(٢) الإصحاح : من الأقسام التى تنقسم اليها أسفار التوراة والانجيل . يقول : هل أحل لكم إنكار حق الضعيف فى كتاب سماوى ؟

(٣) نوافح التفاح : روائحه . وكان الشاعر يعتقد أن نفحة التفاح منومة ، فكان لهذا يكثر من شمه وأكله ، نقل ذلك عنه أحد من اتصلوا به .

(٤) الداح : نقش يلوح به للصبيان يطلون به .

(٥) تأففوا فى الخلف ، أى أتفوه . وتذرى : تطير وتنثر . (٦) أصات : صوت وصاح .

(٧) الغياهب : الظلمات ، الواحد غيهب . والضواحى : المشرقة . (٨) غير مباح : غير ممكن .

للنيل عهدٌ فى الزمان مؤثَّلٌ * مِنْ عهدِ (أمونٍ) وعهدِ (فتاح)(١)

فسلِ المصورَ به وسلْ آثارَه * فى (مصرَ) كم شهدتْ من السُّيّاح

يا صاحبَ القُطرَيْنِ غيرُ مدافَعٍ * ما مثلُ ساحتِكَ فى الملا من ساح(٢)

لم يبدُ نورٌ فوقَ نورٍ يُختلى * كالتاجِ فوقَ جبينِكَ الوضّاح(٣)

ذكرتْ بعزمِكَ (مصرُ) يومَ وليتَه * عزَّ (المُعزّ) بها وعزَّ (صلاح)(٤)

فى كلِّ قُطرٍ من جلالِكَ روعةٌ * ولكلِّ قُطرٍ منكَ ظلُّ جناح(٥)

لكَ (مصرُ) و(السودانُ) والنهرُ الذى * يختالُ بينَ ربًى وبينَ بطاح

وبواسقُ (السودانِ) تشهدُ أنها * غُرِستْ بعهدِ جدودِكَ الفتّاح(٦)

لا غروَ إنْ غنّى بمدحِكَ صائغٌ * أو مُسجعٌ فى حلبةِ المدّاح(٧)

حُسنُ الغناءِ مع الصياحِ كسبُّه * عندَ النفيرِ به مع الإسجاح(٨)

---

(١) المؤثل : الموصل الثابت . وأمون : كان أجل معبود لقدماء المصريين حتى عهد الخانون ، وكان اسمه يدرج فى أسماء الملوك ، فيقال : أمنحتب . وفتاح : يريد به منفتاح بن رمسيس الثانى .

(٢) صاحب القطرين : ملك مصر والسودان . (٣) يختلى : يرى .

(٤) يريد « بالمعز » : المعز لدين الله الخليفة الفاطمى المعروف . و « بصلاح » : السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب .

(٥) يشير بهذا البيت الى عطف المغفور له (الملك فؤاد) على أقطار الشرق .

(٦) البواسق : الأشجار المرتفعة ، الواحدة : باسقة .

(٧) مسجع ، الصواب فيها : ساجع ، أى ساجع فى غنائه كما تسجع الحمامة ، اذ المستعمل فى هذا المعنى « سجع » لا « أسجع » . يقول : سيان من رفع صوته بمدحك ، أو من أرسله فى هدوء ولين .

(٨) يريد بالإسجاح : السجع بالغناء ، وقد تقدم التنبيه على خطأ هذا الاستعمال فى الحاشية التى قبل هذه .

أو لم يكن لك مُلْكُ مِصْرَ ونِيلُها * يَنْسابُ بين مُرُوجِها الأَفْياحِ؟ (١)

مَنْضُورَةَ الجَنَباتِ حالِيَةَ الرُّبَا * مَطْلُولَةَ السَّرَحاتِ والأَرْواحِ (٢)

قد قال (عَمْرٌو) في تَراها آيَةً * مَأْثُورَةً نُقِشَتْ على الأَلْواحِ: (٣)

بَيْنَا تَراهُ لآلِقًا وكأنَّما * تُرِبَتْ بِتُرْبَتِهِ عُقُودُ مِلاحِ

وإذا به للنّاظِرِينَ زُمُرُّدٌ * يَشْفِيكَ أَخْضَرُهُ مِنَ الأَتْراحِ

وإذا به مِسْكٌ تَشُقُّ سَوادَه * شَقَّ الأَدِيمِ مَحارِثُ الفَلّاحِ (٤)

البَرْلَمانِ تَهَيَّأَتْ أَسْبابُهُ * لَمْ يَبْقَ مِنْ سَبَبٍ سِوَى المِفْتاحِ

هُوَ في يَدَيْكَ وَدِيعَةٌ لَرَعِيَّةٍ * تُثْنِي بِأَلْسِنَةٍ عليكَ فِصاحِ

رُدَّ الوَدِيعَةَ يا (فُؤادُ) فإنَّما * رَدُّ الوَدِيعَةِ شِيمَةُ المِسْماحِ (٥)

وانْهَضْ بِشَعْبِكَ يا (فُؤادُ) إلى العُلا * وإلى مَكانٍ في الوُجُودِ بَراحِ (٦)

---

(١) المروج : الأراضي الواسعة فيها نبت كثير . والأفياح : أي الواسعة .

(٢) منضورة : حسنة بهيجة . وحالية الربا : أي مكسوة المرتفعات بأنواع الزهر والنبات . ومطلولة : أي أصابها الطل ، وهو المطر الضعيف الخفيف . والسرحات : جمع سرحة ، وهي الشجرة العظيمة . والأرواح : الرياح .

(٣) يريد "بعمرو" : عمرو بن العاص فاتح مصر . ويشير "بالآية" : الى ما روى من أن عمرا وصف مصر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب وصفا تاما معروفا جاء به هذه المعاني التي يضمنها الشاعر الأبيات الثلاثة الآتية بعد .

(٤) يشير بهذا البيت والبيتين اللذين قبله الى أحوال ثلاث : حال تربة مصر أيام الفيضان والماء يغمرها ، ثم حالها وقد تكشفت عنها المياه وكسا النبات الأخضر أرضها ، ثم حالها بعد الحصاد وقد باتت الأرض جرداء سوداء ، فشبهها في الحالة الأولى باللؤلؤ في بياضه ، وفي الثانية بالزمرد في خضرته ، وفي الثالثة بالمسك في سواده . وقد وردت هذه المعاني في وصف عمرو لمصر .

(٥) المسماح : الكثير السماح .

(٦) البراح : المكان الذي لاستترة فيه من شجر وغيره ؛ يريد مكانا ظاهرا للعالم .

فاللهُ يَشْهَدُ والملائِقُ أننا * طُلّابُ حَقٍّ فى الحياةِ صراحِ (١)

هٰذا مَنارُ البرلمانِ أمامَكُمْ * لهُدَى السَّبيلِ كإبرةِ المَلّاحِ (٢)

فتيمّمُوه مُخلصين فما لكُمْ * مِنْ دُونِه مِنْ غِبْطَةٍ وفَلاحِ (٣)

الفَصْلُ للشُّورى وتِلْكَ هى الّتى * تَزَعُ الهَوَى وتَرُدُّ كلَّ جِماحِ (٤)

هى لا تَضِلُّ سَبيلَها فكأنّما * خُلِقَ السَّبيلُ لها بغيرِ نَواحِ

هى — لا بَراحَ — تَرُدُّ كَيْدَ عَدُوِّكُمْ * وتَفُلُّ غَرْبَ الغاصبِ المُجْتاحِ (٥)

فتكنّفُوا الشُّورَى على استِقْلالِكُمْ * فى الرأيِ لا تُوحِيهِ نَزْعَةُ واحِى (٦)

ويَدُ الإلٰهِ مع الجماعةِ فاضْرِبُوا * بعَصَا الجماعَةِ تَظْفَرُوا بنَجاحِ

كوّنُوا رِجالًا عامِلين وكَذِّبُوا * والصُّبْحُ أبْلَجُ ، حامِلَ المِصباحِ (٧)

ودَعُوا التّخاذُلَ فى الأُمورِ فإنّما * شَبَحُ التّخاذُلِ أنكَرُ الأشباحِ

---

(١) الصراح (بالكسر) وهو أفصح من (الضم والفتح) : المحض الخالص الذى لا شائبة فيه .

(٢) إبرة الملاح : هى التى يتبين بها الجهات ويهتدى بها فى السير .

(٣) تيمموه ، أى اقصدوا إليه .

(٤) تزع الهوى : تكفه وتزيره .

(٥) لا براح ، أى لاريب . وتفل : تثلم وتكسر . والغرب : الحد .

(٦) تكنفوا الشورى : أحيطوا بها والزموها . وقوله « لا توحيه نزعة واحى » ، أى اصدروا عن رأيكم ولا تلقوا الأمر عن غيركم . والواحى : من وحيت إليه الكلام ، بمعنى أوحيته إليه .

(٧) يريد « بحامل المصباح » : الفيلسوف اليونانى ديوجينيس المولود سنة ٤١٢ ق م والمتوفى سنة ٣٢٣ ق م . وكان قد خرج يوما فى واضحة النهار يحمل مصباحا يبحث عن رجل . يقول : كذبوا هذا الفيلسوف الذى ينكر وجود رجل يعتد به ويعتمد عليه .

والله ما بلغ الشقاء بنا المدى * بسوى خلاف بيننا وتلاحي (١)

قم يا بن (مصر) فانت حر واستعد * تجد الخلود ولا تعد لبراح (٢)

ثمر وكافح في الحياة فهذه * دنياك دار تناحر وكفاح

وانهل مع النهال من عذب الحيا * فإذا رقا فامتح مع المتاح (٣)

وإذا ألح عليك خطب لا تهن * واضرب على الإلحاح بالإلحاح (٤)

وخض الحياة وإن تلاطم موجها * خوض البحار رياضة السباح

واجعل عيانك قبل خطوك رائدا * لا تحسبن الغمر كالضحضاح (٥)

وإذا اجتوتك محلة وتنكرت * لك فاعدها وانزح مع الرواح (٦)

في البحر لا تثنيك نار بوارج * في البر لا يلويك غاب رماح

وانظر إلى الغربي كيف سمت به * بين الشعوب طبيعة الكفاح (٧)

والله ما بلغت بنو الشرق المنى * إلا ببنيات هناك صحاح

ركبوا البحار وقد تجمد ماؤها * والجو بين تناوح الأرواح (٨)

---

(١) التلاحي : التخاصم . (٢) يريد «بالمراح» : الأخذ في أسباب الفرح واللهو .

(٣) انهل : اشرب ، من النهل (بالتحريك) ، وهو السقية الأولى . والحيا : المطر . ورقا (سهل من رقأ بالهمز) ، بمعنى جف وانقطع . والمتح : نزح الماء من البئر . ينصح المصري بأن يرد موارد الحياة سهلها وصعبها . (٤) لا تهن ، أي لا تذل ولا تضعف . (٥) الغمر : الماء الكثير . والضحضاح : الماء القريب القعر . (٦) اجتواه : كرهه . يقول : إذا نبا بك منزل ، وتعذرت عليك الإقامة به فاهجره إلى غيره وارتحل عنه مع المرتحلين . (٧) الكفاح : المجاهدة المجتهد في العمل .

(٨) تناوح الأرواح : اختلاف مهاب الرياح .

والبرّ مَصْهُورَ الحَشَى مُتَأَجِّجًا * يَرْمِي بِنَزّاعِ الشَّوَى لَوّاحِ (١)

يَلْقَى فَتِيَّهُمُ الزَّمانَ بِهِمَّةٍ * عَجَبٍ ووَجْهٍ فى الخُطُوبِ وَقَاحِ (٢)

ويَشُقُّ أَجْوَازَ القِفَارِ مُغامِرًا * وَعْرُ الطَّرِيقِ لَدَيْهِ كالصَّحْصاحِ (٣)

وابْنُ الكِنانَةِ فى الكِنانَةِ راكِدٌ * يَرْنُو بِعَيْنٍ غَيْرِ ذاتِ طِماحِ (٤)

لا يَسْتَغِلُّ — كما عَلِمْتَ — ذَكاءَه * وذَكاؤُه كالخاطِفِ اللَّمّاحِ (٥)

أَمْسَى كَماءِ النَّهْرِ ضاعَ فُراتُه * فى البَحْرِ بَيْنَ أَجاجِه المُنْداحِ (٦)

فَانْهَضْ ودَعْ شَكْوَى الزَّمانِ ولا تَنُحْ * فى فادِحِ البُؤْسَى مع الأَنْواحِ (٧)

وارْبَعْ لِمِصْرَ بِرَأْسِ مالِكَ عِزَّةً * إنّ الذَّكاءَ حِبالَةُ الأَرْباحِ (٨)

وإذا رُزِقْتَ رَآسَةً فانْسُجْ لها * بُرْدَيْنِ مِنْ حَزْمٍ ومِنْ إِسْجاحِ (٩)

واشْرَبْ من الماءِ القَراحِ مُنَعَّمًا * فلَكَمْ وَرَدْتَ الماءَ غيرَ قَراحِ (١٠)

---

(١) المصهور : الذى أصابه الخزوحى عليه . والمتأجج : الملتهب . والشوى : اليدان والرجلان وقف الرأس . يصف البر بأنه يقذف بحر شديد ينزع الشوى . وفى القرآن فى وصف النار : (كلا إنها لظى نزاعة للشوى) . ولواح : أى حر منير للألوان .

(٢) وقاح : مجترئ .

(٣) أجواز القفار : أوساطها ؛ الواحد جوز . والصحصاح : ما استوى من الأرض .

(٤) يرنو : ينظر . والطماح : الطموح والتطلع إلى المجد .

(٥) الخاطف اللماح : البرق .

(٦) الفرات : العذب . والأجاج : الشديد الملوحة . والمنداح : المنبسط المتسع .

(٧) يقال : فدحه الأمر ، إذا أثقله وبهظه . والأنواح : النائحات .

(٨) حبالة الصائد : الشرك الذى يصيد به .

(٩) الإسجاح : حسن العفو .

(١٠) الماء القراح : الصافى الخالص . يريد العيش الصافى من الأكدار .

من قصيدة فى شؤون مصر السياسية

قالها فى عهد وزارة إسماعيل صدقى باشا

وقد نظمها حافظ بعد إحالته الى المعاش فى سنة ١٩٣٢ م وكانت تبلغ نحو مائتى بيت لم ننشر منها إلا على هذه الأبيات

قَدْ مَرَّ عامٌ يا سُعادُ وعامُ * وابْنُ الكِنانَةِ فى حِماهُ يُضَامُ
صَبُّوا البَلاءَ على العِبادِ فنِصْفُهُمْ * يَجْبِى البِلادَ ونِصْفُهُمْ حُكّامُ
أَشْكُو الى (قَصْرِ الدُّبارَةِ) ما جَنَى * (صِدْقِى الوَزِيرُ) وما جَنَى (عَلّامُ)[1]

ومنها فى الإنجليز :

قُلْ لِلْحايِدِ هَلْ شَهِدْتَ دِماءَنا * تَجْرِى وهَلْ بَعْدَ الدِّماءِ سَلامُ؟[2]
سُفِكَتْ مَوَدَّتُنا لَكُمْ وبَدَا لَنا * أَنَّ الحِيادَ على الخِصامِ لِئامُ
إِنَّ المَراجِلَ شَرُّها لا يُتَّقَى * حَتّى يُنَفَّسَ كَرْبُهُنَّ صِمامُ[3]
لَمْ يَبْقَ فِينا مَنْ يُمَنِّى نَفْسَهُ * بِوِدادِكُمْ فسِوادُكُمْ أَحْلامُ
أَمِنَ السِّياسَةِ والمُرُوءَةِ أَنَّنا * نَشْقَى بِكُمْ فى أَرْضِنا ونُضامُ؟
إِنّا جَمَعْنا لِلجِهادِ صُفُوفَنا * سَنَمُوتُ أو نَحْيا ونَحْنُ كِرامُ

ومنها فى مخاطبة إسماعيل صدقى باشا :

ودَعا عليكَ اللهَ فى مِحْرابِهِ * الشَّيْخُ والقِسِّيسُ والحاخامُ
لا هُمَّ أَحْيِ ضَمِيرَهُ لِيَذُوقَها * غُصَصًا وتَقْسُفَ نَفْسَهُ الآلامُ

(١) يريد محمد علام باشا وزير الزراعة إذ ذاك ووكيل حزب الشعب . ويشير بقوله «وما جبى علام» : الى ما كانوا يجبونه من الأموال الداعمة لحزب الشعب . (٢) أشار بقوله «الحايد» : إلى أن الانجليز فى هذه الفترة التى قيلت فيها هذه الأبيات كانوا يدعون الحياد فى الشؤون المصرية . (٣) المراجل : القدور .

إلى الإنجليز :

[نشرت فى ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م]

بَنَيْتُمْ على الأَخْلَاقِ آسَاسَ مُلْكِكُمْ * فكانَ لَكُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ ذِمامُ(١)

فمالِي أَرَى الأَخلاقَ قد شابَ قَرْنُها * وحَلَّ بها ضَعْفٌ ودَبَّ سَقامُ(٢)

أَخافُ عَلَيْكُمْ مَرَّةً بَعْدَ نَهْضَةٍ * فَلَيْسَ لِمُلْكِ الظَّالِمِينَ دَوامُ

أَضَعْتُمْ وِدادًا لو رَعَيْتُمْ عُهُودَه * لَمَا قامَ بَيْنَ الأُمَّتَيْنِ خِصامُ

أَبَعْدَ جِيادٍ لا رَعَى اللهُ عَهْدَه * وبَعْدَ الجُروحِ النَّاغِرَاتِ وِئامُ(٣)

اذا كانَ فى حُسْنِ التَّفاهُمِ مَوْتُنَا * فليسَ على باغِي الحَيَاةِ مَلَامُ(٤)

الى المندوب السامى

[نشرت فى ١١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

أَلَمْ تَرَ فى الطَّرِيقِ الى (كِيَادِ) * تَصِيدُ البَطَّ بُؤْسَ السَّالِمِينا؟(٥)

أَلَمْ تَلْمَحْ دُمُوعَ النَّاسِ تَجْرِى * مِنَ البَلْوَى أَلَمْ تَسْمَعْ أَنِينَا؟

أَلَمْ تُخْبِرْ بَنِى التَّأْمِيزِ عَنَّا * وقد بَعَثُوكَ مَنْدُوبًا أَمِينا

بِأَنَّا قد لَمَسْنَا الغَدْرَ لَمْسًا * وأَصْبَحَ ظَنُّنَا فِيكُمْ يَقِينا؟

---

(١) الذمام : الحق والحرمة .

(٢) القرن : الذؤابة من الشعر .

(٣) الناغرات : الداميات .

(٤) يقول : إذا كان حسن التفاهم بيننا وبينكم يجلب لنا الموت بالقتل والاستعباد كان سوء التفاهم خيرا لنا ، لأن فيه حياتنا .

(٥) كياد : بركة بالقليم الشرقية اعتاد أن يذهب اليها المندوب السامى وحاشيته لاصطياد بعض أنواع الطيور .

كَشَفْنَا عَنْ نَوَايَاكُمْ فَلُمْتُمْ * وقد بَرِحَ الخَفَاءُ مُحَايِدِينَا (١)

سَنُجْمِعُ أَمْرَنَا وتَرَوْنَ مِنَّا * لَدَى الجُلِّ كِرَامًا صَابِرِينَا (٢)

وَنَأْخُذُ حَقَّنَا رَغْمَ العَوَادِي * تُطِيفُ بِنَا ورَغْمَ القَاسِطِينَا (٣)

ضَرَبْتُمْ حَوْلَ قَادَتِنَا نِطَاقًا * مِنَ النِّيرَانِ يَعْيَى الدَّارِعِينَا (٤)

على رَغْمِ المُرُوءَةِ قد ظَفِرْتُمْ * ولكنْ بالأُسُودِ مُصَفَّدِينَا (٥)

الأخلاق والحياد

قالها وكان الإنجليز إذ ذاك يدّعون الحياد فى الشؤون المصرية

[نشرا فى ٤ إبريل سنة ١٩٣٢ م]

لاتَذْكُرُوا الأَخْلَاقَ بَعْدَ حِيَادِكُمْ * فُصَابُكُمْ ومُصَابُنَا سِيَّانِ (٦)

حَارَبْتُمُ أَخْلَاقَكُمْ لِتُحَارِبُوا * أَخْلَاقَنَا فَتَأَلَّمَ الشَّعْبَانِ (٧)

(١) لم نجد فى كتب اللغة (النوايا) جمع نية ، كما استعمله الشاعر هنا ، وهو جمع شائع فى كلام أهل العصر ، وهو من غلطاتهم ؛ والقياس : نيات . وبرح الخفاء ، أى وضح الأمر وتبين . (٢) الجلى : النازلة الشديدة . (٣) القاسطون : الظالمون . (٤) الدارعون : لابسو الدروع . يشير بهذا البيت وما بعده الى ما كان يصبه الإنجليز على زعماء النهضة الوطنية المصرية من أنواع العذاب من سجن ونفى واعتقال ومحاصرة بيوتهم بالجنود . (٥) المصفد : المقيد .

(٦) يخاطب الإنجليز فى هذا البيت ويقول : إنكم بهذا الحياد المكذوب تضيعون ما عرفتم به من الأخلاق الفاضلة ، فلا تدّعوها لكم بعد ، فصابكم فى الأخلاق بهذا الطمع والظلم كمصابنا باختلالكم .

(٧) يشير (بالأخلاق) المضافة إلى الإنجليز فى هذا البيت إلى ما عرفوا به من الصبر والأناة وعدم الأخذ بالقسوة والعنف . وبالأخلاق المضافة الينا ، الى ما أظهرناه فى نهضتنا الوطنية من صبر على الجهاد واستمساك بحقوق البلاد . يقول : إنكم أيها الإنجليز بقسوتكم على المصريين تحاربون أخلاقكم السالفة الذكر فى سبيل محاربة أخلاقنا ، فكلا الشعبين متألم ، لأنه يحارب فيما طبع عليه .

ثمن الحياد

[نشرت فى ٤ ابريل سنة ١٩٣٢ م]

لقد طَالَ الحِيادُ ولَمْ تَكُفُّوا * أَمَا أَرْضَاكُمُ ثَمَنُ الحِيادِ ؟

أَخَذْتُمْ كلَّ ما تَبْغُون مِنَّا * فما هٰذا التَّحَكُّمُ فى العِبادِ ؟

بَلَوْنَا شِدَّةً منكم ولِينًا * فكان كِلاهُمَا ذَرَّ الرَّمَادِ

وسالَمْتُمْ وعادَيْتُمْ زَمانًا * فلَمْ يُغْنِ المُسالِمُ والمُعادِى

فلَيْسَ وراءَكُمْ غيرُ التَّجَنِّى * ولَيْسَ أَمامَنَا غيرُ الجِهادِ

إلى الإنجليز

[نشرت فى ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٢ م]

حَوَّلُوا النِّيلَ وَاحْجُبُوا الضَّوءَ عَنَّا * وَاطْمِسُوا النَّجْمَ وَاحْرِمُونَا النَّسِيمَا

وامْلَئُوا البَحْرَ إنْ أَرَدْتُمْ سَفِينًا * وامْلَئُوا الجَوَّ إنْ أَرَدْتُمْ رُجُومَا

وأَقِيمُوا لِلعَسْفِ فى كلِّ شِبْرٍ * (كُنْسُتَبْلًا)(١) بالسَّوْطِ يَفْرِى الأَدِيمَا

إنَّنا لَنْ نَحُولَ عن عَهْدِ مِصْرٍ * أو تَرَوْنَا فى التُّرْبِ عَظْمًا رَمِيمَا

عاصِفٌ صانَ مُلْكَكُمْ وحَمَاكُمْ * وكَفَاكُمْ بالأَمْسِ خَطْبًا جَسِيمَا

---

(١) العسف : الظلم والأخذ بالقوة . و يفرى الأديم : يشق الجلد .

غالَ (أرمادةَ) العدوّ فغُزِمْ * وبلغتُمْ فى الشرقِ شأواً عظيما[1]

فعدلتُمْ هُنيهةً وبغيتُمْ * وتركتُمْ فى النيلِ عهداً ذميما

فشهدنا ظُلْماً يُقالُ له العدْ * لُ ووُدّاً يَسقى الحميمَ الحميما[2]

فاتقُوا غضبةَ الحواصفِ إنى * قد رأيتُ المصيرَ أمسى وخيما

الحياد الكاذب

[نشرت فى سنة ١٩٣٢ م]

(قصرَ الدُّبارةِ) قد نقضْـ * ـتَ العهدَ نقضَ الغاصبِ

أخفيتَ ما أضمرتَه * وأبنتَ وُدَّ الصاحبِ

الحربُ أروحُ للنفو * سِ منَ الحيادِ الكاذبِ

جلاء الإنجليز عن مصر

قالها تنديدا بكاتب فرنسى كان قد زعم أن جلاء الانجليز عن مصر سيكون فى أكتوبر

كم حدّدُوا يومَ الجلاءِ الذى * أصبحَ فى الإبهامِ كالمحشرِ

وسَنَّ قومُ الطيشِ من جهلِهمْ * كِذْبةَ (إبريلَ لأكتوبرِ)

---

(١) غال : أهلك . وأرمادة : هى الأسطول الأسبانى الذى كان يريد مهاجمة الأسطول الانجليزى فى القرن السادس عشر ، فحطم بعاصفة شديدة حالت بينه وبين مهاجمته . وإلى هذه القصة يشير الشاعر بهذا البيت والذى قبله . ويشير بقوله « وبلغتم فى الشرق » : إلى كثرة مستعمرات الانجليز فيه .

(٢) يريد «بالحميم» الأول : الصديق . و «بالحميم» الثانى : الشراب الشديد الحرارة .

الامتيازات الأجنبية

سَكَتُّ فأَصْغَرُوا أَدَبِي * وقُلْتُ فأَكْبَرُوا أَرَبِي[1]

وما أَرْجُوهُ مِنْ بَلَدٍ * به ضاقَ الرَّجاءُ وَبِي؟

وهَلْ (فى مِصْرَ) مَفْخَرَةٌ * سِوَى الأَلْقابِ والرُّتَبِ؟

وذِى إِرْثٍ يُكاثِرُنا * بمالٍ غيرِ مُكْتَسَبِ[2]

وفى الرُّومِىِّ مَوْعِظَةٌ * لشَعْبٍ جَدَّ فى اللَّعِبِ[3]

يُقَتِّلُنا بلا قَوَدٍ * ولا دِيَةٍ ولا رَهَبِ[4]

ويَمْشِى نَحْوَ رايَتِهِ * فَتَحْمِيهِ مِن العَطَبِ[5]

فَقُلْ للفاخِرِين : أَمَا * لهذا الفَخْرِ مِنْ سَبَبِ؟

أَرُونِى بَيْنَكُمْ رَجُلًا * رَكِينًا واضِحَ الحَسَبِ[6]

أَرُونِى نِصْفَ مُخْتَرِعٍ * أَرُونِى رُبْعَ مُحْتَسِبِ[7]؟

أَرُونِى نادِيًا حَفَلًا * بأَهْلِ الفَضْلِ والأَدَبِ؟

وماذا فى مَدارِسِكُمْ * مِن التَّعْلِيمِ والكُتُبِ؟

---

(١) الأرب : العقل . (٢) كاثره بماله : فاخره بكثرته .

(٣) يريد « بالشعب » : الشعب المصرى . وجدّ فى اللعب : أى استمر عليه وواظب .

(٤) القود : القصاص . والرهب (بالتحريك) : الخوف . (٥) العطب : الهلاك .

(٦) الركين : الرزين . (٧) يريد « بالمحتسب » : العالم بتدبير الأموال والتصرف فيها على أحسن وجه ؛ ومنه قولهم : « فلان محتسب البلد » .

وماذا فى مَساجِدِكُمْ * مِنَ التِّبيانِ والخُطَبِ؟
وماذا فى عَمائِمِكُمْ * سِوَى التَّمْوِيهِ والكَذِبِ؟
حَصائِدُ ألسُنٍ جَرَّتْ (١) * إلى الوَيْلاتِ والحَرَبِ
فهُبُّوا مِنْ مَراقِدِكُمْ * فإنَّ الوَقْتَ مِنْ ذَهَبِ
فهٰذِى أُمَّةُ (اليابا * نِ) جازَتْ دارَةَ الشُّهُبِ (٢)
فهامَتْ بالعُلا شَغَفًا * وهِمْنا بابْنَةِ العِنَبِ (٣)

(١) حصائد الألسنة : ما تقتطعه من الكلام الذى لا خير فيه ، الواحدة حصيدة ، تشبيها له بما يحصد من الزرع إذا جف . وفى حديث معاذ : « وهل يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم » . والحرب (بالتحريك) : الهلاك .

(٢) الدارة : المنزل .

(٣) ابنة العنب : الخمر .